التيار الوطني والقومي
في شـــــــعر
أحمـد أحمد قنابه

إعداد الدكتور
السيد علي السيد كفافي
المدرس في قسم الأدب والنقد
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات ببني سويف

المقـــدمـــة

الحمد لله رب العالمين الذي يُتمُّ بفضله النعمَ، ويمحو بعفوه النقمَ، والصلاة والسلام على الهادي البشير الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين...

وبعـــد ....

فهذا بحث أدبي موضوعه ((التيار الوطني والقومي في شعر أحمد أحمد حسين قِنابة))، وما زال الشعر الوطني والقومي يحتل مكانة رفيعة بين فنون الشعر الأخرى؛ وذلك لأنه قِيل بدافع حُبّ الوطن الذي يُعدُّ جزأً لا يتجزأ من عقيدة الشاعر، ففي حنايا وطنه وُلد، وفي أحضان وطنه نما وشبَّ فأحَّب أرضه وسماءَه، وعشق ليلة ونهاره وترابه، فأصبح جزاً منه، يفرح لفرحه، ويحزن لحزنه، تؤثر فيه جراحُه وآلامُه إذا ما أصابه جرحٌ أو ألم، ويُهلِّلُ له إذا ما رأى الأمن والأمان والاستقرار والرخاء يعمُّ أرجاءه.

وشعراء الوطنية في العصر الحديث أكثر من أَنْ يحصوا، ففي كُلِّ قطرٍ من أقطار الوطن العربي شعراءُ التزموا بالدفاع عن قضايا أوطانهم بصفة خاصة، وقضايا أمتهم العربية بصفة عامة، وتفاعلوا مع هذه القضايا، فمنذ أن وطأت أقدام الاستعمار البلاد العربية، والشعراء لن تهدأ لهم ثائرة فجعلوا شغلهم الشاغل محاربته والزود عن أوطانهم، فتحملوا في سبيل ذلك التعب والتعذيب والتشريد، فدورهم في مجابهة الاستعمار والدفاع عن أوطانهم أقوى من قاذفات المدافع وقنابل الطائرات.

وشاعرنا "قنابة" من هؤلاءِ الشعراء الذين عنوا بقضايا أوطانهم بصفة خاصة، فرصد أحداثه، وترجم عنها شعراً في قصائد التزم فيها الشاعر منهج القدماء، وسار على هديهم فمنذ أن وطأت أقدام الاستعمار الإيطالي أرض ليبيا ١٩١١م، والشاعر يدرك تدابير

ومكر هؤلاء المستعمرين، فعمل ما وسعه الجهد على كشف مؤامراته ومجاهدته، ودعا بني وطنه للوقوف صفاً واحداً في وجهه والعمل على طرده، وإذا ما تحقق له ما أراد هلَّل لاستقلال وطنه واتحاده وتضامنه، وافتخر ببني وطنه، ومدح المخلصين منهم، الذين ضحوا بالنفس والنفيس في سبيل الحرية والاستقلال.

ولم يكتف الشاعر بذلك، بل عَرَّج على ذكر بعض الأحداث التي دارت في الأقطار العربية الأخرى، وأولى حرب الجزائر اهتماماً بالغاً، علاوة على الأناشيد الوطنية التي تتميز بنبرة خطابية خاصة تختلف عن النبرة الخطابية التي أوردها في حنايا قصائده الوطنية والقومية على السواء.

وفي الحقيقة أنّ الذي حدا بي إلى اختيار هذا الموضوع، هو أنني أردت أن أتَعَّرف على بيئة جديدة، ودم عربي جديد يعبر عن نوازعه النفسية تجاه وطنه بصفة خاصة، وأمته بصفة عامة من خلال فنه الشعري.

كما أردت أن أزيح الغبار عن شاعر قصر فنَّه الشعري على بابين أو فنين من فنون الشعر، كان للتيار الوطني والقومي منها النصيب الأوفى، والباب الثاني "الرثاء"، ثم إن أحداً من الباحثين أو الدارسين لم يتناول هذا الفن بالدراسة؛ لذا أقلبت على دراسته، وبيان ملامح كُلّ من التيار الوطني والقومي في شعره.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة وبعض الفهارس الفنية.

أمَّا المقدمة فقد بّينت فيها سبب اختياري للبحث والخطة التي سرت عليها فيه.

وأمَّا المبحث الأول: فقد جعلته بعنوان "أضواء على حياة الشاعر" وتحدثت فيه عن مولد الشاعر ونشأته، وتعليمه وثقافته، والوظائف التي تقلدها، ومدرسة الشعرية ورأيه في الشعر، ثم وفاته.

والمبحث الثاني: وجعلته بعنوان "التيار الوطني وملامحه في شعر قنابة" وتحدثت فيه عن مدلول الوطنية وأصَّلْتُ له، ثم تحدثت عن ملامح التيار الوطني في شعره، وهي تتمثل في : هجاء المستعمرين، والدعوة إلى الوحدة الوطنية ولم الشمل، والتهليل للاستقلال وطرد المستعمر الغاصب، ومدح المخلصين من أبناء وطنه والفخر بقومه، والأناشيد الوطنية.

المبحث الثالث: وجعلته بعنوان "التيار القومي في شعر قنابة" وتحدثت فيه عن مدلول القومية، ثم تحدثت عن ملامح التيار القومي في شعره، وتتمثل في "الجامعة العربية، والوحدة العربية والتضامن العربي، والحديث عن مصر، وثورة الجزائر، وفلسطين".

أمَّا الخاتمة فقد رصدت فيها أهم نتائج البحث.

وما توفيقي إلاَّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب

المبحث الأول : أضواء على حياة الشاعر

أولاً: مولده ونشأته.

ولد الشاعر "أحمد أحمد حسين قنابة" عام ١٨٩٨م في مدينة "زندر" بأفريقيا الجنوبية، وبعد مولده بأشهر قليلة تعرضت هذه المدينة للغزو الفرنسي، فاضطرت أسرته للنزوح إلى مدينة "كانو" في "نيجيريا"، ثم بعد مُضيِّ خمس سنوات قدم مع والده إلى ليبيا حيث استقر في مدينة طرابلس[١]. ويذكر الشاعر أن أسرته تنتمي إلى آل بيت الرسول – صلى الله عليه وسلم– ويصعد نسبها إلى تلك الدوحة الطاهرة، ونشأتها الأصلية في مدينة "ودَّان" الواقعة في الجنوب الليبي، إلاَّ أن جدَّ الشاعر "حسين قنابة" كان يشتغل بالتجارة، فرحل إلى أفريقيا حيث نزل بمدينة "زندر"، وفيها لقى من أميرها الرعاية والعناية لمعرفته بنسبته إلى الدوحة المباركة، وصلة نسبه بآل البيت، فأكرم وفادة جد الشاعر بحكم نسبه الشريف، وعظَّم مكانته كأحد الأشراف، وزوَّجه بسيدة من إحدى الأسر التي اختارها له لتحظى بشرف الاقتران به، فأنجب منها ثلاثة أبناء هم "محمد، أحمد، حسين" وكانوا جميعاً يشغلون بالتجارة، فشاعرنا إذن إفريقي المولد ليبي الأصل[٢].

تعليمه:

قابلت الشاعر عوائق كثيرة في سبيل تحصيله العلمي في بداية حياته، إذ لم تكن أحوال البلاد في هذه الفترة مستقرة، ولم تكن– أيضاً– ظروف أسرته مستقرة في مكان واحد، ففي السادسة من عمره ألحقه والده بمكتب العرفان الذي يعتبر من المدارس الشهيرة بطرابلس في العهد التركي، ثم ألحقه بعد ذلك بالمكتب العسكري التركي في منطقة باب البحر، ولم يطل به المقام مع والده إذ سرعان ما سافر والده في رحلة تجارية إلى الجنوب

(١) أنظر ديوان الشاعر أحمد قنابة، ص٢٠.
(٢) السابق، ص١٩ – ٢٠.

وتركه مع ابن عمٍّ له يقوم على رعايته، ومضت سنوات والشاعر في كنف هذا الرجل الرحيم، حتى بداية الاحتلال الايطالي لليبيا عام ١٩١١م، وما لبث أن قبض جنود الاحتلال على هذا الرجل وأخذوه أسيراً إلى ايطاليا فيَمنْ أخذوا، ثم انتقل الشاعر إلى كفالة عَمِّه الأكبر "محمد" فألحقه بمدرسة روما الإيطالية، حيث حصل على شهادة الصف الرابع باللغة الإيطالية.

وكثيراً ماراود الشاعر حلم يريد تحقيقه ويعمل ما وسعه الجهد على تنفيذه، وهو أن يسافر إلى مصر ويلتحق بالأزهر الشريف ويكمل رحلة تعليمه فيه، ولكن ذهبت أحلامه أدراج الرياح، ولم يحقق حلمه الذي طالما راوده أياماً عديدة؛ وذلك لسفر والده مرَّة أخرى إلى السودان تاركاً للشاعر أخاً وزوجة والده ليقوم الشاعر على رعايتهما والنفقة عليهما، ولم يتمكن والده من العودة من هذه الرحلة إلاَّ بعد مُضيِّ سبع سنوات.

وعلى الرغم من هذه العقبات التي اعترضت طريق الشاعر للحصول على شهادة علمية مرموقة إلاَّ أن الشاعر واصل دراسته في المعاهد الدينية والإسلامية التي كانت الدراسة فيها على غرار الدراسة في المعاهد الدينية الأزهرية في مصر، ولكن سرعان ما تركها وتوقف عن التحصيل فيها بسبب انقطاعه للتجارة ورعايته لأسرته، ولم ينقطع أمل الشاعر "في مواصلة تعليمه فالتحق بمدرسة "عثمان باشا"، وبعدها التحق بكلية "أحمد باشا" والتي كانت الدراسة فيها على غرار الدراسة في الأزهر وفيها حصل على إجازة العالية"[١].

ثقافته:

لا ريب في أن ظروف الشاعر الاجتماعية لم تكن مستقرة، فقد تقلَّب في حلقات مختلفة من حلقات العلم وبعد جهد جهيد حصل على إجازة العالِمية من كلية "أحمد باشا" قبلها انقطع عن مواصلة تعليمه مرات متعددة ثم عاد إليه، وهذا التقلب نَّوع ثقافته وتعددت منابعها، فثقافة الشاعر هي ثمرة

[١] انظر الاتجاهات الوطنية في الشعر الليبي الحديث، محمد الصادق عفيفي، ص٤٠٤، ط دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، ط أولى، ١٩٦٩م.

اطلاعات وقراءات في مختلف فنون العلم والمعرفة، فهي تتسم بطابع الشمول، فقد كان يقرأ كل كتاب يقع بين يديه، وكثيراً ما كان يتردد على المكتبات ينتقي منها ما يروقه من الكتب، كما أنه عمل في مكتبة الأوقاف، وهي فرصة لا تعوض لإشباع نهمه من القراءة والاطلاع[١]، ولم تنقطع صلة الشاعر بعَالم الأدب والشعر، فقد كان يروي لابن الرومي والمتنبي والبحتري من القدماء، ولأمير الشعراء "أحمد شوقي وحافظ إبراهيم، والشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي والشاعر على الجارم من المحدثين، ولا أكون مغالياً إذا قلت: إن الشاعر اعتمد على تثقيف نفسه بنفسه من خلال قراءاته وإطلاعه على تراث السابقين من الشعراء والأدباء، إذ لم تتح له الفرصة أن يواصل تعلميه دون انقطاع، وقد تأثر الشاعر بحافظ وكان يقدمه على شوقي[٢].

وقد بدأ نجم الشاعر في الصعود عام ١٩٢٠ عندما أخذ في نشر قصائده الوطنية في جريدة "اللواء الطرابلس" التي هي لسان حزب الإصلاح الوطني تحت أسماء مستعارة، فكان يُوقِّع أحياناً تحت اسم "الشاب الطرابلسي" وأحياناً تحت اسم "صوت وطني" أو "مسلم صادق" أو "وطني غيور" أو "صوت مؤمن" ولعل هذه الأسماء المستعارة هي التي عملت على ضياع أكثر شعره.

ثم بدأ نجمه في الصعود مرة ثانية عام ١٩٣٥م عندما نشر قصائده الطوال على صفحات جريدة "الرقيب والعتيد" وأحياناً على صفحات جريدة "العدل"[٣].

الوظائف التي تقلدها الشاعر:

(١) أنظر ديوان قنابة، ص ٢١- ٣٢.
(٢) انظر السابق، ص ٣٣.
(٣) أنظر السابق، ص ٢٤ – ٢٥.

تقلَّد الشاعر عدة وظائف وتقلب في أنحائها، ولم يدَّخر وسعاً في ناحية الإجادة والعمل ومنها أنه:

– عمل مذيعاً بإذاعة طرابلس من عام ١٩٣٨ – ١٩٤٣ فأسهم في نشر الثقافة العربية والإسلامية والتعرف إلى أعلامها عن طريق المذياع.

– عمل محرراً صحفياً بمكتب الاستعلامات التابع للإدارة البريطانية عام ١٩٤٣م.

– عمل مدرساً في مدرسة حزب الإصلاح الوطني ومدرسة مكتب العرفان.

– تولى رئاسة النادي الأدبي، وساهم في إعادة تأسيسه، واشرف على نشاطه الثقافي والمسرحي والرياضي حتى عام ١٩٤٥م.

– أسهم في تأسيس نادي العمال الثقافي والرياضي وعُيّن عضواً فيه عام ١٩٤٧م.

– عُيِّن في نوفمبر ١٩٥٤ مديراً لمكتبة الأوقاف حيث قضى بقية عمره[١].

مدرسته الشعرية ورأيه في الشعر:

ينتمي الشاعر إلى المدرسة الكلاسيكية الحديثة التي أسسها "البارودي"، وتبعه فيها كُلٌّ من "شوقي وحافظ والجارم والماحي ومحمود وغنيم" وغيرهم، وهي مدرسة عمود الشعر.

ولذلك يقول الشاعر "قنابة" عندما سُئل عن رأيه في قضية الشعر الحديث، فكانت إجابته "إن موقفي من هذه القضية لن أحيد عنه؛ ذلك لأنَّ الشعر في رأى هو ذلك الشعر الموزون المقفى الذي لا يخرج عن مقاييس وأصول الشعر العربي، أمَّا إذا خرج عن الوزن والقافية فهو ليس بشعر عربي على الإطلاق وإنما هو نثر"[١].

---

[١] انظر معجم الشعراء الليبي، جـ١، ص٧، تأليف عبد الله سالم مليطان، ط دار مداد للطباعة والنشر والتوزيع والانتاج.

- أنظر الشعر الليبي في القرن العشرين قصائد مختارة لمئة شاعر، ص ٨٩، اختارها وقدم لها عبد الله هدَّامة، عمَّار محمد حجيد، ط دار الكتاب المتحدة.

[١] انظر ديوان قنابة، ص٣٥.

وقد سئل لماذا اخترت طريق الشعر دون غيره؟

فأجاب "لميل وحبٍّ في نفسي لا أستطيع لهما دفعا، والذي حدث لي كما يقول الشاعر:

إذا غضبت علىَّ غضبتُ أيضاً ... على نفسى ويُرضينى رضاها
وما غضبى على نفسى لذنبٍ ... ولكنِّى أميلُ إلى هواها

كنت أميل في طبعي إلى الحقيقة، وفي بحثي عن كلمة صدرت من الإمام "محمد عبده" يقول فيها:"لو سألوا الحقيقة أن تختار لها محلاً تشرف منه على الكون لما اختارت غير بيت من الشعر"، فكانت هذه الكلمة حافزاً لي على قول الشعر[٢]، وقد صاغ الشاعر رأيه في الشعر في قصيدته التي خاطب بها صديقه الشاعر " عبد ربه الغنايّ"[٣] والتي يقول فيها:

هل يكون الشعرُ حُرَّاً ... ما تراهُ ؟ عبد رَبَّهْ
غير حُرٍّ في اعتقادى ... من بحور الشعر يأبهْ
لا نريدُ الشعرَ إلاَّ ... أن يكونَ الضاد لُبَّهْ
لا نريدُ الشعرَ إلاَّ ... أن يكون الوزنُ طبهْ
لا نريدُ الشعرَ إلاَّ ... من فتى يهضمُ صعبَهْ
ليس رصفُ الشعر فناً ... إن فنَ الشعرِ درْبَهْ
والقوافي دون وَزن ... بينها والشعر جَذْبَهْ
كُلُّ شعرٍ دون وزن ... كان بالمنثور أشْبَهْ
كُلُّ شعر جاءَنا ... مستوراً فليقض نحبهْ
كُلُّ موزون مقفى ... أية الفصحى تنبَّهْ[١]

---

[٢] أنظر ديوان قنابة، ص٣٦.

[٣] الشاعر : عبد ربه الغنَّاي – ولد في بنغازي عام ١٩٢٠ حصل على الشهادتين الابتدائية والثانوية الايطالية- درس بجامعة نابولى ثم المعهد الايطالي والفرنسي، وفي عام ١٩٣٨ التحق بالازهر، ثم درس بالمعهد العالي للتمثيل والسينما بالقاهرة، له أكثر من ست دواوين شعرية، توفي في ١٦ – ٨ – ١٩٨٥ – انظر معجم الشعراء الليبيين، جـ١ ، ص٢٦٧ ، د / عبد الله سالم مليطان.

[١] ديوان قنابة، ص ١٩٤ – ١٩٥ .

ولم يكتف الشاعر بعرض رأيه في الشعر من ناحية الشكل، وإنما عرض رأيه أيضاً في الشعر من حيث المضمون، فتحدث عن التجربة الشعرية والعاطفة في قوله:

حبذ الشعر ما تثور له النفـ ـس ويبقى كالكنز للأحفادِ
كُلُّ شعر أتى بدون شعور ليس شعراً في شرعةِ النقادِ[٢]

ولم يكن هذا الرأي مقصوراً على شاعرنا، وإنما قال بهذا الرأي غيره من الشعراء، وربما سبقوا الشاعر في الترجمة عن رأيه، ومن هؤلاء الشعراء الذين قالوا بهذا الرأي الشاعر "محمود غنيم" حيث يقول في آخر مقالته التي نشرت في مجلة "قافلة الزيت" عدد شعبان ١٢٩٣هـ أغسطس ١٩٧٣ "إنما سقت هذا الحديث لغرض واحد، هو أن أبين لهؤلاء الذين يضيقون ذرعاً بقوا في الشعر وأوزانه أن الشعر مجنيٌّ عليه، فمن ضاق ذرعاً بقيود الشعر فليلتمس العيب في موهبته هو، وفي مقدرته الفنية"[٣]، وترجم "محمود غنيم" عن رأيه هذا شعراً فقال:

ليس شعراً ما لم يكن عن شعور ولـه من قـرارة النفس واحى
ليس شعراً ما احتاج قُرَّاؤه في فهم أهدافه إلى شُرَّاح
ليس شعراً ما جاء عن غير طبع بعد طول اللجاج والالحاح
إنَّ مَنْ ينشد القريض بلا طبـ ـع يغوص الوغى بغير سلاح
كل شعر أتى بغير عمودٍ عُدَّ في الشعر من قبيل المزاح[٤]

فالشاعر "غنيم" محافظ على عمود الشعر العربي معتز في شعره بالأصالة الشعرية، يرى الشعر شعوراً وطبعا[٥].

ولكن يتبادر إلى الذهن سؤال هو: هل طبَّق الشاعر "قنابة" هذه المقاييس التي ذكرها على شعره؟ أغلب الظن أن الشاعر طبَّق بعض

---

[٢] السابق، ص ١٦٦.
[٣] دراسات في الادب العربي الحديث ومدارسه، د. محمد عبد المنعم خفاجى، ص٢٣١، يتصرف.
[٤] الأعمال الكاملة، محمود غنيم، ص ٨٢٦، ط دار الغد العربي.
[٥] دراسات في الادب العربي الحديث ومدارسه، ص ٢٣٧.

المقاييس على شعره وأهمل بعضها، فهو بالنسبة لجانب الشكل لم يخالف عمود الشعر فالتزم بالوزن والقافية، أمَّا من ناحية المضمون وأعني به التجربة الشعرية وما يحتوي عليه شعره من عاطفة ووجدان وخيال فلا تكاد أن تدرك ذلك أو تحسه في شعره، ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة البيئة التي عاش فيها الشاعر فهي بيئة جافة قاحلة.

وفـــاتـــه:

بعد هذه الرحلة الحافلة بالجهاد آن للقافلة أن تتوقف عن المسير وتنقطع عن العطاء، وتحطَّ رحالها فقد انتقل الشاعر إلى جوار ربه في ظهر يوم الجمعة الموافق ١٢ – ١ – ١٩٦٨م عن سنٍ تناهز السبعين عاماً[١]وإن كان الدكتور "خفاجي" يقرر في كتابه "قصة الأدب في ليبيا" أن الشاعر "توفي في طرابلس عن ثمانين عاماً"[٢]ولكن جامع الديوان ومحققه قد يكون أقرب إلى الصحة؛ لأنه عايش الشاعر، وقرأ عليه معظم شعره، ولأن البلاد مَّرت بأحداث لم يذكرها الشاعر ولم يترجم عنها شعراً، وهذا يُرَجِّح أنه مات قبل هذه الأحداث ويخالف ما جاء به الدكتور خفاجي.

---

[١] انظر الديوان، ص٢٩.

[٢] انظر قصة الادب في ليبيا العربية، د. محمد عبد المنعم خفاجي، ص٤١٤، ط دار الجبل، بيروت، ١٩٩٢م.

المبحث الثانى : التيار الوطني في شعر أحمد قنابة

تقديم:

مما لا شك فيه أن الوطنية مدلول جديد على الشعر العربي نشأ في العصر الحديث، ولم يكن هذا المصطلح "الوطنية" متداولاً في عصور الأدب القديمة، وبخاصة في الشعر، إذ لم تكن دواعيه قد وجدت وأسبابه قد ظهرت.

وشاع هذا المصطلح وانتشر بقوة عندما وقعت البلدان العربية فريسة تحت وطأة الاستعمار الغربي، وذلك عندما ضعفت الخلافة العثمانية في تركيا، ومَنْ يقرأ التاريخ ويطالع أحداثه يجد أن دولة الخلافة العثمانية لم تقف بجانب أي دولة عربية احتلت من قبل الدول الغربية، وإن وقفت بجانب أي دولة فإنما موقفها موقف مخزٍ، ومن هنا قام أصحاب هذه البلاد التي نكبت بالاستعمار يدافعون عنها بلسانهم وسنانهم، وتحملوا في سبيل ذلك القتل والنفى والتعذيب والتشريد، مما دفع ألسنتهم أن تنطبق بالثورة، وتقاوم وتقف في وجه هؤلاء المستعمرين الذين لم يقصدوا من وراء غزوهم للبلاد إلاَّ نهب ثرواتها والاستحواذ على خيراتها، وإيقاف عجلة التقدم فيها، نجد ذلك واضحاً جلياً في تاريخ الحركات الاستعمارية التي توالت على الدول العربية قبل قيام الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م وبعدها.

"والمدلول الجديد لكلمة وطن أصبح يعنى اليوم الكيان الجغرافي القومي والسياسي الذي يولد فيه شعب، ويتخذه مستقراً دائماً له، يجتمع تحت رايته، ويربط أبناءَه جملة من التقاليد والعادات والعواطف والأهداف والمصالح المشتركة.

والوطنية هي حبُّ الوطن، والشعور نحوه بارتباط روحي، وهي نزعة اجتماعية تربط الفرد بالجماعة وتجعله يحبها ويفتخر بها، ويعمل من أجلها، ويضحي في سبيلها"[1].

وقد كان شوقي، رائد الشعر الوطني في العصر الحديث بلا منازع، فقد تحمل في سبيل وطنه النفي والتشريد فهو القائل مخاطباً وطنه:

---

[1] الاتجاهات الوطنية في الشعر الليبي الحديث، ص٩، د. محمد الصادق عفيفي.

وطنى لو شُغلتُ بالخلدِ عنه نازعتنى إليه فى الخلدِ نفسى[1]

وهو القائل أيضاً:

فيا وطنى لقيتك بعد يأس كأنّى قد لقيتُ بك الشَّبَابَا[2]

ومن قبل شوقي "البارودي" رائد الشعر الحديث الذي لقى التعذيب والنفي من أجل رفعة وطنه واستقلاله، فهو القائل:

فقد حاطنى فى ظلمةِ الحبس بعدما ترامتْ بأفلاذِ القلوبِ الحناجرُ

فمهلاً بنى الدنيا علينا فإنَّنا إلى غايةٍ تنفتُّ فيها المرائِرُ[3]

وهكذا نجد كثرةً من الشعراء تناولوا الوطنية بكل ما تحمل من معان وملامح وظلال، كُلٌّ حسب رؤيته والأحداث التي عايشها وعاصرها، وليس هذا بجديد على الشعراء أن يترجموا عن آلام وآمال شعوبهم، بل عن آلام وآمال أمتهم العربية بصفة عامة، فكثير من الشعراء تناولوا أحداث وطنهم وعبروا عنها، ووقفوا يجاهدون المستعمر الغاضب بكل ما أتوا من قوة بيان، وسحر أسلوب، ثم عَرَّجوا على ذكر أحداث أمتهم العربية، وأيقنوا مؤامرات المستعمر، ووقفوا على تدابيره، وكشفوا النقاب عن خداعه الحقير ومؤامراته الرخيصة هو وأذنابه من أبناء الوطن بغية مال أو منصب زهيد، فكانوا على بصيرة بمجريات الأحداث، من أجل ذلك أصاب الكثير منهم التعذيب والنفي والبعد عن وطنه الذي يود أن يراه في صورته الزاهية، أو يراه في صورته التي رسمها له في مخيلته.

وإذا ما تصفحت ديواناً من دواوين الشعر العربي الحديث في أيِّ قطر من أقطاره لا تعدم فيه ذكراً للتيار الوطني والقومي، وهذا إن دلَّ فإنما يدل على مدى التزام الشعراء بقضايا أوطانهم، بل وبقضايا أمتهم العربية.

والشاعر "أحمد قنابة" واحد من هؤلاء الشعراء الذين عنوا بقضايا أوطانهم، وبقضايا أمتهم العربية، فمنذ أن وطأت أقدام الاستعمار الإيطالي

---

(1) الشوقيات، ج٢، ص ٦٤، ط دار الكتاب العربي،

(2) السابق، ج١، ص٦٦.

(3) ديوان البارودي، ج٢، ص٨٧، حققه وصحّحه وظبطه ونشره علي الجارم، محمد شفيق معروف.

أرض ليبيا عام ١٩١١م، والشاعر قصائده الوطنية مدوية في الآفاق، منبهاً تارة ومحذراً تارة أخرى، وداعياً أبناء وطنه إلى الجهاد ونيل الاستقلال، كاشفاً لهم عن المؤمرات والتدابير التي يُحيكها المستعمر لنهب ثروات بلاده.

فديوانه الذي جمعه وحققه الدكتور "الصِّيد محمد أبو ديب" يحمل بين دفتيه موضوعين رئيسيين:

الأول: الذي أَعدَّه جامع مع الديوان وعنوانه "الجانب الديني في شعر أحمد قنابة، وتحدث فيه عن شعر التصوف عند الشاعر، وهو أبرز موضوعات الجانب الديني فيه.

الثاني: التيار الوطني والقومي: في شعر أحمد قنابة، ولم يتعرض له الباحث ولم يشر إليه في أيٍّ من دراسته عن الشاعر إلاَّ أنه أشار إلى أن شعر الشاعر يشتمل على اتجاه وطني وهذا الاتجاه يمثل أكثر نتاج الشاعر فقال: "نغمتان بارزتان أو مسلكان واضحان يلاحظهما القارئ لشعر "أحمد قنابة" ويكاد يكون شعره مقصوراً أو وقفاً عليهما، أولهما تلك النغمة الوطنية البارزة التي تنبعث في العديد من أشعاره ....، وقد سلك هذا المسلك منذ ريعان شبابه... حين كانت الحماسة الوطنية والنخوة العربية يملآن قلبه ضد الاستعمار الإيطالي، الذي اغتصب أرضه واعتدى على حرية بلاده.

أمَّا المسلك الثاني فيبدو في مراثية التي توضح الشعر الديني عنده[١].

ثم يشير الباحث إلى أنه تحدث عن الجانب الديني في شعر "قنابة"، وترك الجانب الوطني، فقال:"فقد رأيت أن أتحدث في الصفحات التالية عن المسلك الثاني، وهو الجانب الديني عند الشاعر... تاركاً المسلك الأول وهو الجانب الوطني لغيري على اعتبار إمكان جعله دراسة مستقلة.. إذ إنه جانب يحتاج إلى بحث دقيق ودراسة عميقة تمتاز بطول التأمل في شعره"[١].

وهذا سبب من أسباب اختياري لهذا الجانب في شعر الشاعر لدراسته والتعرف على ابرز ملامح الشعر الوطني والقومي عنده، فبعد قراءتي لهذا

---

[١] ديوان قنابة، ص ٤٣ ٤٤ بتصرف.
[١] السابق، ص ٤٧، بتصرف.

الجانب من شعره تبيَّن لي أن شعره الوطني بصفة خاصة يمثل أكثر نتاجة الأدبي فضلاً عن الأناشيد الوطنية، وترجمته لبعض القصائد التي تشهد على قوميته وعروبته إلاَّ أن شعره الوطني يمثل الجزء الأكبر.

كما حرصت أن أتعرف على بيئة جديدة، ودم عربي جديد يترجم عن نوازعه الوطنية، ويقف من قضايا أمته العربية موقف الجد والعناية والاهتمام. كما أردت أن أتسأل من خلال قراءة نتاج الشاعر، هل الشاعر عالج كل القضايا الوطنية من خلال أشعاره، والقومية أم أنه أغفل جوانب وأحداثاً لم يشر إليها في أشعاره؟

وتظهر الإجابة عن هذا التساؤل من خلال الدراسة لملامح التيار الوطني والقومي في شعره.

ملامح التيار الوطني في شعر قنابة

تظهر ملامح التيار الوطني في شعر "قنابة" في:

١. هجاء المستعمرين والدعاء عليهم بالتشتت: لأنهم مزقوا شعبه، وفرقوا شمله من أجل التوطئة لاستعمار بلاده، كاشفاً عن أوهام المستعمرين التي أدخلوها إلى عقول الناس لينجذبوا إليهم، ويقفوا بجانبهم، فهذه خُدعة المستعمر عندما يوهم أصحاب البلاد، ويعلل لهم سبب مجيئه إلى بلادهم، فقد جاء ليحررهم من الظلم، ويدفع عنهم حُكَّامهم المستبدين، ولذا عدد الشاعر وكرر إيهامات المستعمر لأصحاب البلاد، حيث أوهم المستعمر الناس أن شعبهم في انقسام وشقاء وأسارٍ واضطهاد واعتلال واحتياج، وجاء كي يداوي هذه الأمراض، ويخلصهم من مستعمريهم، ولكنه التربص والتنمر، ولذا يعلو صوت الشاعر شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى مُنتاه عند ما يتناول المستعمر ويكشف عن حِيله الرخيصة وخداعه الدنيء ويصبُّ جام غضبه عليه دعياً على المستعمرين بـ.....

شتَّتَ اللّه شملَهم فرقونَا ... إنهم ظالمونَ مستعمرونَا
أوهموا الناسَ أننا في انقسام ... لمكنْ وحدة هم وحَّدُونا
أوهموا الناسَ إننا في شقاءٍ ... فأتوا أرضنا كي يُسْعِدُونا
أوهموا الناسَ أننا في أسار ... واضطهاد وأنهم أنقذُونَا
أوهموا الناسَ أننا في اعتلال ... وسقام ياليتهم عَالَجُونَا
أوهموا الناسَ أننا في احتياج ... ولهم ثروة هم ذوَّدوَنا[1]

ولعلك- أيها القارئ الكريم- تلاحظ التكرار الذي جاء به الشاعر خمس مرات في أبياته السابقة "أوهموا الناس أننا في.....، ليدل على التوبيخ والتقرير"[2] وكشف المزاعم الباطلة التي يدعيها المستعمر، وما بعد حرف الجر "في" في الأبيات التي وقع فيها التكرار، لم يُحْدثْ الشاعر انسجاماً في

(١) ديوان قنابة، ص٧٧.
(٢) العمدة لابن رشيق، ج٢، ص ٧٥، ط دار الجبل.

النغم من خلال استخدامه للفظة المكررة الواقعة بعد حرف الجر؛ وذلك لعدم التوافق في الوزن، فوزن "انقسام" يختلف عن وزن "شقاءٍ" و "أسارٍ"، ولو جاء الشاعر بالبيت الرابع والخامس بعد البيت الثاني مباشرة لوجدت رائحة هذا الانسجام النغمي الذي يكسب البيت حلاوة وطلاوة وأبهة، فلو قال الشاعر "في انقسام" "في اعتلال" "في احتياج" لكان هذا الترتيب أولى من ترتيب الشاعر، ولم يخل بالمعنى الذي أراده، إذ لم تكن ثمة علاقة في بناء الأبيات على هذه الهيئة، فإذا أبدلت بيتاً مكان بيت لم يخل ببناء القصيدة، فكل بيت من هذه الأبيات قائم بنفسه، ثم انظر إلى الفعل "أوهموا" ليدل دلالة أكيدة عَمَّا قامّ به هؤلاء المستعمرون لخداع شعبه، فلم يدخروا وسعاً في سبيل هذا الإبهام، أو إقناعهم بهذا الوهم حتى ظَنَّ هؤلاء أن هذا الوهم حقيقة، وهذا سبيل من سبل المستعمر الذي يعمل من خلاله لقلب الحقائق، والإذعان بأن هذا الوهم أو ذاك الخيال أصبح لديهم حقيقة.

ثم يُعرِّجُ الشاعر في قصيدته على خداع وغدر هؤلاء المستعمرين، وهذا ملمح من ملامح الهجاء، وذلك عندما تأكد من غدر وخداع المستعمرين بأبناء شعبه، وإخلافهم للوعود والعهود، وادَّعائهم الصدق وهم كاذبون كي يستميلوا النفوس، فاتبعوا سياسة الوعود الكاذبة والمراوغة، تجد هذه المعاني في قول الشاعر:

خدعونا في زعمِهم يوم قالوا ... إنَّهم من عدوِّنا حرَّرُونَا
فاستمالوا انفوسَنا بوعودٍ ... لنْ تُوفَّى ولو صبرنَا قرونَا
إننا في وعدِنا قدْ صدَقْنَا ... إنّما هم في وعدِهم كاذِبُونَا
أيُّ قيدٍ كُّوهُ عنَّا بوعدٍ ... فأسالوهُمْ كمْ مرةٍ رَاوَغُونَا
لم يفُكُّوا القيودَ بعدُ ولكن ... كبَّلُونا بغيرها كَبَّلُونَا
عاهدونا بالزودِ عن كلِّ شعبٍ ... حال دونَ استقلاله المعتدُونَا
عاهدونا بالزودِ عن كلِّ حقٍّ ... ما لهم لم يَفُوا بما عاهدُونا

ليس عند المستعمرين عهودٌ أيُّ عهدٍ أوفى به الخُشَّعُونا[1] [2]

أنظر إلى الشطر الأول من البيت الأول عندما أراد الشاعر أن يبين مكر وخداع هؤلاء المستعمرين وبراعتهم في استمالة النفوس إليهم، وذلك ناشئ عن كثرة حيلهم واحتيالهم على هذه النفوس، فالشاعر يكشف عن الأمنيات التي يمنيها المستعمر لهؤلاء من ناحية، ومن ناحية أخرى يكشف عن ضعف هذه النفوس التي استميلت بيسر وسهولة، دون تفكر في مكر وخداع المستعمر، ثم أسند النفوس إلى ضمير الفاعلين ليبينّ مدى تحقيق هذه الاستمالة لهذه النفوس الضعيفة التي لم تفكر في أن المستعمر يعمل على الكيد لها ومحاربتها بكل الوسائل، ثم يوضح الشاعر في آخر أبياته أن المستعر لا عهد له ولا ميثاق مهما تظاهر بالوفاء.

ثم يستحضر الشاعر تاريخ هؤلاء المستعمرين، فهم منذ القدم عقدوا مواثيق وعهوداً مع قاتل المسيح وهم لا يؤمنون به؛ مما جلب عليهم الذل والعار وأورثهم الهوان والصغار، لكنهم لا يعقلون، لأنهم..

حالفوا قاتِلَ المسيح وآخو من بربِّ المسيح لا يُوقِنُونَا
يا لها وصمةُ وذلٌ عارٌ وصغارٌ لو أَنَّهم يعقلوُنَا[3]

٢- الإلماح إلى بعض المؤامرات التي تحاك من قبل الاستعمار.

ومن هذه المؤامرات تقسيم ليبيا إلى ثلاث دويلات هي "برقة، فزان، طرابلس"، وقد رصد الشاعر هذه المؤامره في شعره ونبه الليبيين وحذرهم من هذه المؤامرة وأبدى رأيه فيها، واصفاً بالجبن من يعمل على تنفيذ هذه المؤامرة التي ترمي إلى تقسيم ليبيا قائلاً:

ما أرى التقسيم إلاَّ جذوةٌ من جبان خاض حرباً فانفجرْ[4]

---

(١) الخُشَّع: ولد البقير، والبقير: المرأة تموتُ وفي بطنها حيٌّ فيبقر بطنها ويُخْرجُ- لسان العرب مادة: خشع.
(٢) ديوان قنابة، ص ٧٧، ٧٨.
(٣) السابق، ص٧٨.
(٤) الديوان، ص ٨١.

ثم يَعرّج الشاعر على قرار "ليك سكسيس"[1] الذي يقضي بتقسيم ليبيا، فالشاعر يتحدى مصدر القرار، مشيراً إلى أنه لا يقوى على تنفيذه، فهو يعلم ويقرر أن من حق بلاده أن تكون وحدة متماسكة، ولا ينبغي لأحد أن يفرِّق بين أقاليمها الثلاثة مهما بلغت قوته ومكانته، وإنما ليبيا وطن واحد يضم في حناياه هذه الأقاليم، فيصبُّ جام هجائه وغضبه في وجه المستعمر الذي يعبث بمقدرات بلاده، ويعمل جاهداً على تمزيقها، وتشتيت أبنائها وشعبها، ولذا نجده يقول مترجماً عن هذه المعاني:

إنما الحقُ قوةٌ يوم تحمى "ليك سكسيس" قرارها سَيَعُونا
ما أرادَ القرارُ تقسيمَ ليبيا إنمَّا هم لغايةٍ قَسَّمُونَا
قُلْ لَمَنْ أيدوا القرارَ جميعاً نفِّذُوه أو سارعوا عاونونا
إن "فزان" مثل "برقة" عضوٌ من "طرابلس" يشهدُ المنصفُونَا[2]

الإلماح إلى مشروع "بيفن واسفورزا"

عقد كُلٌ من وزير خارجية بريطانيا وإيطاليا سرياً مفاوضات تقضي بتقسيم ليبيا، فللفرنسيين الوصاية على "فَزَّان" حتى تحمي مصالحها في الجزائر والمغرب، وللبريطانيين الوصاية على "برقة" حتى تؤمن من حدودها من ناحية الشرق ناحية مصر، وللايطاليين الوصاية على "طرابلس"، غير أن هذا المشروع لم يكتب له النجاح ولم يكن الشاعر ببعيد عن مسرح الأحداث السياسية الداخلية والخارجية الخاصة ببلاده، بل رصد هذا المشروع الذي صيغ في الخفاء، فهذا المشروع في نظر الشاعر يوضح أن الشعوب الفقيرة الضعيفة كالسلع البائرة يباعون في الأسواق كالعبيد، ثم بيَّن عوامل الضعف الكائنة في "الفقر والجهل والمرض" فهذا الثالوث سبب في ضعف الشعوب وتأخرها مما جعلها لقمة سائغة لهؤلاء المستعمرين، قائلاً:

الفقرُ والجهلُ والمستعمراتُ صدى للحربِ والخلفِ والدستور أوتارُ

---

[1] "ليك سكسيس" مدينة امريكية عرضت فيها قضية ليبيا في ابريل ١٩٤٩ : انظر: رفيق شاعر الوطن لخليفة التليسي، ص١٣.
[2] الديوان، ص٧٨.

مشـروع "بيفـن واسفورزا" يُعْلِمُنَـا أنّ الشعــوبَ لها ســوقٌ واسـعارُ
لــو سَاومنَــا لفــازا في قضيتنـا وفي القضـيةِ بعـضُ الشرِّ يُخْتارُ
حيــاتُنا رهــــنُ وعدٍ قــد يُنفِّذه جيشٌ من البغى والعدوان جَرّارُ[1]

٢- الدعوة إلى الوحدة الوطنية ولم الشمل.

وتتمثل الدعوة إلى الوحدة في رصد المؤتمرات التي كانت تعقد لتوحيد الصف والكلمة ولم الشمل، والوقوف صفاً واحداً في وجه الأعداء المستعمرين قُبيل الاستقلال، ومن هذه المؤتمرات التي رصدها الشاعر وباركها في شعره مؤتمر "القصيبات"، وفي هذا المؤتمر يحي الشاعر الأمير "محمد إدريس السنوسي" الذي حضر هذا المؤتمر عقب عودته من لندن ١٩٤٩م، وهو أول مؤتمر عقد لجمع الكلمة وتوحيد الصف، وتهيج شاعرية الشاعر في هذا المؤتمر حتى إنه ليصف بالكفر مَنْ تسوَّلُ له نفسه إنكار الوحدة فيقول:

سـل بنى "القصيباتِ"[2] مولانا تُسَرْ نبـأُ القصيبـاتِ هـدىً وعِبرْ
كيف سُـدْنَا واتَّحـدنَا أسـرةً كيـف فزنا يـوم عقد المؤتمرْ
يـوم هـبَّ الشعـبُ صفـاً واحـداً وبشيرُ[3] السعـد فينا كعمـر
يـوم هبَّ الشعـبُ ركناً شـامخاً لم يحدْ مِنَّا علـى الحق نفرْ
يـوم هبَّ الشعـبُ روحـاً واحـداً في انسجـام بين بـدو وحضرْ
يـوم هَـبَّ الشعـبُ بحـراً زاخـراً وقَّعَ الميثـاقَ في لمـح البصرْ
....
إن تلـك الـوحدةُ في تـوحيدِنا فالذي يُنكِـرُهـا مِنَّا كفـرْ[4]

---

[1] ديوان قنابة، ص٨٨.
[2] القصيبات: مدينة شرق طرابلس تبعد عنها ١٢٠ ك م.
[3] بشير السعد: أحد المجاهدين الليبيين الذين وقفوا في وجه الاحتلال الإيطالي: انظر تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٦٩م، ص٢١٠ تأليف: نيكولاي ايليتش بروشيل – ترجمة وتقديم د. عماد حاتم، ط دار الكتاب الجديد المتحدة.
[4] ديوان قنابة، ص ١١٠.

والشاعر يخاطب الأمير "محمد إدريس السنوسي" الذي سافر إلى لندن لعرض قضية بلاده في المحافل الدولية، والشاعر يهلل لهذه الوحدة التي تمثلت في أبناء شعبه قادة وأفراداً عن طريق تكرار الاستفهام مرتين في البيت الثاني في قوله "كيف سدنا– كيف فزنا" ثم تكرار نصف الشطر الأول أربع مرات في قوله "يوم هبَّ الشعب" مبيناً الهيئات التي اجتمع عليها الشعب، ويؤكد الشاعر ويلح كثيراً في أشعاره على هذه الوحدة سواء على المستوى الوطني أو على المستوى القومي.

ثم يشير الشاعر إلي مؤتمر " تاجوراء"[1] الذي على إثره تُألفت الأحزاب السياسية، فكونت جبهة قومية صارت نحو البلاد داعية إلي الاتحاد، فأهاجت هذه الروح عواطف الشعراء، فتبادروا في إيقاظ الوعي الوطني بين قومهم، لذا ترجم الشاعر عن هذه المناسبة بقوله:

ففى "تاجوراء" قَدْ قُلتُ فاسمعوا هُنا ينجلى إخلاصُ مَنْ كانَ يعملُ
هُنا رايةُ المهدىّ كالنسر رفرفتْ على جحفل كالسيل يتلوه حَجْفَلُ
هنا فلنُحَقِّقْ وحدةً عربيةً يصونُ لها دستورَها الحق فيصلُ
رضينا بالاستقلال والوحدةِ التى تعصَّتْ ولكن بالإمارةِ تَسْهُلُ[2]

والشاعر في أبياته السابقة يشير إلى الاستقلال والوحدة والدستور، وفي ثنايا أبياته يمدح الأمير "محمد المهدي السنوسي" والأمير "فيصل" ملك العراق في هذه الفترة الذي كان يعمل جاهداً على توحيد العرب وجمعهم تحت راية واحدة.

ثم يشير الشاعر إلى اجتماع "غريان"[3] مبيناً كيف تحققت فيه وحدة الشعب الليبي، مذكراً بني وطنه أن هذه الوحدة لم تتحقق إلاَّ عن طريق الإخاء والمحبة، ووحدة السبل، ونبذ التفرق والتشتت، الذي جعلنا نرزح تحت وطأة الاستعمار أعواماً كثيرة، مذكراً أبناء وطنه ببطولاتهم التي حققوها ضد

(1) تاجوراء: ضاحية من ضواحي طرابلس تقع في الجانب الشرقي على شاطئ البحر.
(2) ديوان قنابة، ص١١٠.
(3) غريان: مركز المقاطعة الوسطى بولاية طرابلس ومن اجمل مدنها لارتفاعها عن سطح البحر.

الاستعمار، وبمواقفهم التي تفوقوا فيها على أعدائهم، مشيراً إلى يوم "الهاني" ومعركة شارع "الشط" وذلك ليثير الشعور ويحفز الهمم ويشحذ العزائم نحو هذه الوحدة، فيقول:

يا يومَ "غريان" بل يا يوم وحدتنا ... قد جئتَ في حُلَّةٍ والأرضُ في حُلَل
لما بَدا سفحُ "بوغيلان"[1] مبتسماً ... فَنَّتَ مَنْ قال "بوغيلان" من جبل
فالعاملونَ على التوحيدِ في مرح ... والعاملونَ على التشتتِ في خَبَل
نرجو التوُّثقَ من تحقيق وحدتِنا ... في وحدةٍ في نجاح دونَ ما فَشَل
عن "وُرْشفانةَ"[2] حدِّثنا بلا حرج ... يا يومَ "غريانَ" لا تُسْهِبْ ولا تُطل
ما "وُرْشِفَانة" إلاّ حصنُ دولتنا ... مهدُ الصناديدِ عند الحادثِ الجلل
ماض مجيدٍ له "الهانى"[3] يُسَجِّلُه ... وشارعُ "الشطِّ"[4] في أيّامه الأُول[5]

ثم نتج عن هذه المؤمرات والاجتماعات أن توحَّد الشعب الليبي، وتوثقت عرى المحبة بين أبنائه الذين يودون طرد المستعمر عن أرض وسماء بلادهم، ولذا فالشاعر يحدثهم بلجهة خطابية عالية النبرة قائلاً :

فإمَّا اتحادٌ وذاك المنى ... وإمَّا المنيةُ أو نَسْعَدا
وكُلٌّ يُجازَى وخيرُ جزا ... لمن كِلْمَةَ القوم قد وحَّدا[6]

ولذا كان من شيم هذه الوحدة والعامل على تحقيقها ونجاحها:

الحقُ والعدلُ والانصافُ وحدتُنا ... والناطقونُ بحرفِ الضَّادِ أمَّتُنا
لو لم تكنْ وحدةٌ بين الصفوفِ لَمَا ... قامتْ على طردِ الاستعمار ثَوْرَتُنا[7]

ولا أكون مغالياً إذا قلت إن لسان الشاعر يلهج بذكر الوحدة في كل قصيدة من قصائده، بل ويكرر ذكرها ويلح عليه في القصيدة الواحدة، وهذا

---

(1) بوغيلان: اسم جبل بالقرب من غريان.
(2) ورشفانة: هي العزيزية إحدى مدن المقاطعة الغربية من طرابلس .
(3) (4) الهاني وشارع الشط: اسم منطقة في طرابلس وقعت فيها معركة بين ابناء الشعب الليبي وجنود الاحتلال وانتصر أبناء الشعب الليبي- انظر معجم معارك الجهاد في ليبيا- ١٩١١ – ١٩٣١، ص ٤٩٠ خليفة التبلسي، ط الدار العربية للكتاب.
(5) ديوان قنابة، ص ١١٠.
(6) ديوان قنابة، ص٩٨.
(7) السابق، ص٨٢.

إن دلَّ فإنما يدل على شغل الشاعر الشاغل بقضايا وطنه الذي أراد أن يضعه في مكانته اللائقة به، ليرى مكانه بين شعوب الأرض يتمتع بالحرية والاستقلال، وينعم أهله بالأمن والأمان والاستقرار، من أجل ذلك جعل ديدنه لَمَّ شمل هذا الشعب تحت لواءٍ واحد ليحقق هذه الوحدة، ومن هنا جاءت دعوته للشباب الذين يعقد عليهم الآمال يحفزهم للاتحاد والوقوف صفاً واحداً، ثم دعوتهم إلى الرقي والتقدم آمراً إيَّاهم أن يتخلصوا من القيود التي كبلتهم سنين عديدة، وصدتهم عن سبل تقدمهم ورقيهم فكانت دعوته... أن

هُبُّوا بنى وطنى هُبُّوا بنى وطنى ... إنَّ التضامنَ لليبى معيارُ
فُكُّوا القيودَ التى ظلَّتْ تُكبِّلُنا ... حيناً من الدَّهر فالليبى مغوارُ
فُكُّوا القيودَ التى صدتْ تقدُّمُنا ... فلمكنْ لسوانَا هذه الدارُ[1]

وكأني بالشاعر يحس ثقل هذه القيود، فيود التخلص منها مهما كلفه ذلك كُلَّ غالٍ وثمن، ولذا كرر فعل الأمر "فكوا" مرتين ليجعلك تحس بمعاناته الحقيقية.

ولا ريب فقد وقف الشاعر في صف الوطنيين المنادين بالوحدة، فنزلت عنده منزلة العقيدة، فظل يهتف بها، ويزيد من تعميق الإحساس بها في النفوس، ولم يتردد في إعلان إيمانه بها في شتى المناسبات الوطنية.

٣. التهليل للاستقلال وطرد المستعمر الغاصب

إن الفرد من الشعب ليحمل على كاهله عبئاً ثقلاً، وبخاصة إذا كان معنياً بقضايا وطنه بصفة خاصة، وقضايا أمته بصفة عامة، فمن أبرز القضايا التي عانت منها الشعوب العربية في العصر الحديث الاستعمار الذي جاء لنهب خيراتها والاستحواذ على ثرواتها، وصدِّها عن سبل التقدم والرقي، وفرض تعاليمه الجائرة وتقاليده التي تتنافى مع عادات وتقاليد أصحاب البلاد الأصليين، ومن هنا يحسُّ الفرد بمعاناة شديدة، فيعمل بكل ما أُوتى من قوة على فك هذه القيود والأَغلال التي كبله بها الإستعمار،

[1] السابق، ص٨٧.

والتخلص من هذه المعاناة الأليمة، فكان الشعراء يعبرون عن هذه المعاناة بألسنة شعوبهم، ويرصدون معاناتهم، ويحسونهم على التخلص منها، ويدعونهم إلى الحرية والاستقلال، فإذا ما تحققت الحرية، ونعمت الشعوب بالاستقلال وطُرد المستعمرُ الغاصبُ تغنى الشعراء بهذا الاستقلال وهلَّلُوا للحرية، وطالبوا أبناء جلدتهم أنْ يحافظوا على حريتهم واستقلالهم، وحذروهم من الوقوع مَّرة ثانية تحت وطاة الاستعمار، وشاعرنا "قنابة" من هؤلاء الشعراء الذين هَلَّلُوا لاستقلال ليبيا بعد أنْ ظلت رازخة تحت وطأة الاستعمار الإيطالي ما يقرب من ثلاثين عاماً ولذا فهو يصرخ في شعبه بأن...

صُنْ أيُّها الشعبُ النبيلُ الغالى ... دنيَا السلام وعهدَ الاستقلال
وانعمْ بعهدِ العزِّ في حريةٍ ... وانزعْ عن العهدِ القديم البالى
وانشرْ على الدُّنيا صحائفَ مَجْدِنا ... فالمجدُ في التاريخ رأسُ المال
واربأ بنفسك أنْ تُضيِّعَ فرصةً ... فيها تُؤمِّنُ مطمعَ الأجيال[1]

ثم يحي الشاعر ليبيا التي أضحت مضرب الأمثال باستخدامها طريق الحق، فلن تنتهك حرماتها بعد اليوم ما دامت سائرة على المنهاج الصحيح والطريق القويم، ثم يصفها بأنها شعب العروبة ولذا نجده يقول محيياً إيَّاها:

فلتحى ليبيا المستقلةَ إنَّها ... بالحق أضحتْ مضربَ الأمثال
شعبُ العروبةِ لم يعدْ مُسْتَعْمَراً ... في الحال أو في أىِّ وقتٍ تل[2]

ومن أجل ذلك حَيَّا الشاعر الشباب الليبي الذي أدَّى واجبه بكل شجاعة وإيمان وأمانة وعزم نحو استقلال بلاده، فدافع عنها وبذل في سبيل استقلالها النفس والنفيس والغالي والثمين، فلم يرهب تهديدات الأعداء، ولم يرهب الموت في سبيل الدفاع عن وطنه، فهو شباب يطمح إلى نيل المعالي والمجد الذي من أجلهما سجَّل أسمى معاني الفداء والتضحية في سبيل نيل

(1) ديوان قنابة، ص٨٣.
(2) السابق، ص٨٢.

وطنه الحرية والاستقلال، وتخلصه من براثن الاستعمار، فكان نداء الشاعر لابناء وطنه..... بأن:

حَيُّوا الشبابَ الناهضَ الصّنْدِيَدا فالحــقُ أصبــحَ عدةً وعـدِيدَا
حَيُّــوا المدافِـعَ عن سنــاءِ بـلادِه مثلَ الجنـــود مُنَظَّمـاً وسَدِيدَا
حَيُّــوهُ شهـماً ثابتاً مستــأسداً واجْفُــوهُ خِــبَّاً طائشــاً عِـرْبِيدَا
حَيُّــوهُ تَّواقاً إلــى مجــدِ الأولى لم يــرهبُوا مـــوتاً ولا تهـديدا
حَيُّــوه مـا رام الحــياةَ مجـدداً واحْنُــوا عليه وحبِّذُوا التجديدَا
حَيُّــوهُ كهفاً للعلى مستــوفزاً يأبـــى الخنوعَ ويمقتُ التَّقْلِيدَا
حَيُّــوهُ طمَّــاحاً إلى نيــل العلى والمجــدِ والملكِ الكبيرِ وحيدَا[1]

فكرر الشاعر التحية لهذا الشباب سبع مرات وأردفها بصفات له غاية في القوة والبسالة والإقدام .

٤.مدح المخلصين من ابناء الوطن:

المدح فن قديم من فنون الشعر العربي، من خلاله يبين الشاعر فضائل الممدوح، ويعدد مناقبه، ويخلع عليه من الصفات الحميدة والخصال الجميلة ما يتناسب مع أعماله ويتواءم مع أفعاله، وشعر المدح في العصور المتقدمة نال من المكانة والمنزلة الرفيعة ما لم يرق إليه أيُّ فنٍ من فنون الشعر الأخرى، وبخاصة في عصر بن أمية إذ جال فيه الشعراء وصالوا بغية العطاء، ونيل الجوائز الثمينة التي كان يغدقها الأمراء والولاة والقواد على الشعراء؛ لأجل تقريبهم من مجالسهم والدعوة لهم وتوطيد دعائم أركان دولتهم، وهذا الفن سائر على مَرِّ العصور لم تغيره عوادي الزمن ومرور الأيام ولكنه في العصر الحديث اتخذ من قِبل الشعراء لأسباب وأغراض متعددة حسبما يقصد الشاعر ويرمي إليه، فمنهم مَنْ يقصد من ورائه المواربة والنفاق والمداهنة، ومنهم من يبتغي من خلاله منفعة أو منصب رفيع، ومنهم من يقصد من ورائه المنفعة العامة، ومنهم من قصر مدائحه على شخصه واحدة من الشخصيات الإصلاحية؛ لأنه رأي فيها العمل على إصلاح البلاد

[1] السابق، ص٩٠.

والسعي بها نحو التقدم والرقي وتخليصه من الاستعمار، والمحافظة على ثروات البلاد، ومن هؤلاء شاعرنا "قنابة" الذي أوقف مدائحه على الأمير "محمد إدريس السنوسي"؛ لأنه رأي فيه القائد والأمير والزعيم الذي عقد عليه أبناءُ وطنه الآمال الجسام في تخليصهم من نير الاستعمار الإيطالي البغيض، هذا الأمير الذي جال في أنحاء ليبيا يعقد المؤتمرات، ويدعو فيها إلى جمع الكلمة وتوحيد الصف ونبذ الفرقة، وحفَّز أبناء وطنه على نيل استقلالهم، ولم يدخر وسعاً في طرح قضية وطنه في المحافل الدولية فسافر إلى لندن وعاد ١٩٤٩م، فالشاعر يستقبله "بأغنية الوحدة" التي ينادي بها على الأمير بـ....

يا أميرَالشعبِ يا فخرَ البشرْ ... عُدتَ بالبشرى إلينا من سَفَرْ
عُدتَ من لندنَ وفي عَوْدِك ما ... فيه من مغزى عميق وأثر
عدت من لندنَ وباريس وفي ... هذه العودةِ نصرٌ وظفر[1]

ويقف الشاعر على عادة القدماء ويبايع الأمير السنوسي ملكاً على ليبيا، ويطلب من بني وطنه أن يحذوا حذوه ويبايعوه، ويلح الشاعر على هذا المعنى ويكرره في أكثر من موضع في مدائحه، تارة عن طريق التلميح وأخرى عن طريق التصريح فيقول:

إدريسُ أنتَ لها إذا ما رُمْتَها ... ملكاً فلا يحظى بها إنسانُ
أنتَ الجديرُ بها فليبيا دولةٌ ... فيها جنودُكَ كُلُّهم شُبَّانُ
ليبيا إذا ظلتْ بأمركِ وحدةٌ ... لا ضير يلحقُها ولا خُسْرَانُ[2]

ثم يقول مخاطباً الأمير مرة أخرى:

مولانا أنتَ مليكُنَا في رأينا ... والرأيُ تأتى به الشجعانُ
إنَّا رضينَا أنكونَ مليكنا ... فاقبلْ يؤيدُ عرشَ ك الرحمانُ
مِنَّا لشخصِ ك للولاءِ وثيقةٌ ... فيها على إخلاصِنا بُرْهَانُ[1]

[1] ديوان قنابة، ص٧٩.
[2] السابق، ص٨٠.

ولم يكتف الشاعر بهذا بل دعا الشباب إلى مبايعته، واختياره ملكاً عليهم، وهو اختيار آتٍ عن رغبة منهم ومشيئة، منادياً الشباب بصفة خاصة والشعب بصفة عامة أن يباركوا هذه المبايعة قائلاً:

قُلْ للشباب وقُلْ للشعبِ مغتبطاً غيرُ السنوسى مَنْ سنختارُ
غَيْرُ السنوسى مَنْ برغبتِنا شئناهُ نحن كما شاءَتْهُ أقدارُ
أكرِمْ به من أمير رمز وحدتِنا مَنْ تشرئبُ اليومَ إليه أمْصَارُ
أعظِمْ به وبأهل البيتِ قاطبةً مِنْ وصفهم في كتابِ اللّهِ أطهارُ[٢]

فالشاعر ينظر إلى الأمير على أنه الأمل المنشود الذي يرجوه ليخلِّص بلاده من الاستعمار، ويحفظ لها استقلالها ووحدتها، لذا كان التأييد والوقوف بجانبه أمراً محتوماً عند الشاعر لا يبتغي عنه بدلاً، ولايريد عنه عوضاً، من أجل ذلك أوقف مدائحه عليه لم يتعدَّاه إلى غيره فإذا ما تصفحت ديوان الشاعر لم تجد فيه مدحة واحدة لغير هذا الأمير الذي عقد عليه الشاعر الآمال العِظَام، والشاعر في مدائحه سائر على منهج القدماء، ليس في مدائحه فحسب بل في كل أشعاره.

٥.الفخـــــر:

الفخر غرض من الأغراض التقليدية وطريقه بصفة عامة "تَمدُّح المرءِ بخصال نفسه وقومه، والتحدث بحسن بلائهم ومكارمهم وكرم عنصرهم، ووفرة قبيلهم، ورفعة حسبهم ونسبهم، وشهرة شجاعتهم"[٣]، ولم يخرج الفخر عند شاعرنا عن المالوف المتعارف عليه بين الشعراء، إلاَّ أن فخره لم يكن فخراً ذاتياً يخصُّ به ذات نفسه، وإنما كان فخراً عاماً– إن صح هذا التعبير– أو فخراً جماعياً، وإن كان الشاعر التمس فيه طريق "عمرو بن كلثوم" في معلقته المشهورة، ويبدو ذلك بوضوح في تعبيره بضمير المتكلم المعظم نفسه، لكن الشاعر استخدم هذا الضمير "إنا" في الإشادة بقومه

---

(١) السابق، ص٨٠.
(٢) السابق، ص ٨٥.
(٣) الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، ص٤٧، للشيخ: مصطفى عناني- والشيخ أحمد السكندري، ط دار المعارف، ١٩٢٨م.

والفخر ببطولاتهم في أكثر من قصيدة، وكأن القارئ عندما يقرأ قصيدة من قصائده التي تحتوي على هذا الفخر يداخله إحساس أنه يقرأ لشاعر من شعراء الجاهلية فضلاً عن ألفاظه التي تتميز بالسهولة، والبعد عن الغرابة والحوشية، تدرك ذلك عندما تقرأ قصيدته التي يتوعد فيها الشاعر الليالي إن لم تنصفه وتمنحه الغلبة سيحاربها بكل ما أوتى من قوة فيقول:

أَلاَ فلتُنْصفِينَـا يا ليـالى وإلاَّ نستقيمُـك بالعـوال
فإنَّا اللاجئونَ كلِّ بأس إلى أقماع شرذمةِ الضلال
وإنَّا لكاشفونَ كلِّ خطبِ وإنا الباذلونَ كلِّ غال
وإنَّا المنصفُون إذا حكمنا وإنَّا من جهابذِة الرجال
وما عُرفتْ سجايانا بغدر ولكنْ بالوفاءِ وبالكمال[1]

ولا ريب في أن الشاعر في أبياته السابقة قد جمع بين الفخر بقومه من ناحية وهجاء أعدائه من ناحية أخرى، وذلك في البيت الثاني حينما وصفهم بأنهم "شرذمة الضلال"، ثم يظهر لنا تأثيره بالقرآن الكريم في قوله تعالى على لسان فرعون في أصحاب موسى عليه السلام ﴿ إن هؤلاءِ لشرذمة قليلون وإنهم لنا لغائظون﴾[2] والنبرة الخطابية العالية تغلب على فخر الشاعر، وذلك لاستخدامه لضمائر الرفع المنفصلة والمتصلة التي تدل على التعظيم كما في قوله "فلتنصفينا" وإسناد الأنصاف إلى الليالي على سبيل المجاز، ثم كرر ضمير المتكلم "إنا" خمس مرات عن طريق العطف بالواو، وهذا إن دلَّ فإنما يدل على عظم ما يتمتعون به من القوة والبأس والعطاء والبذل والعدل والإنصاف في الحكم، فكل هذه سجايا وخصال عُرفت عنهم ومتأصلة فيهم، فلا يعرف الغدر وعدم الوفاء إليهم سبيلاً، وإنما عرفوا بالوفاء فكانوا من جهابذة الرجال.

ثم يُعرِّج الشاعر على المعاني السابقة في قصيدة أخرى من قصائده، حيث يقرر أن له ولقومه منزلة عالية، فهم أصحاب مجد قديم، منصفون

(1) ديوان قنابة، ص١٠٤.
(2) سورة الشعراء آية: ٥٤، ٥٥.

للضعفاء، مقدمون على الغارات والثارات، أصحاب رأي سديد إذا ما استشيروا، وما كانوا كذلك إلاَّ لأن الحق عندهم مظهر من مظاهر قوتهم، يستقوي به المستضعفون، وفيهم فتية أقوياء إذا ما دعوا إلى الهيجاء انتصروا على أعدائهم، فهم في الصدارة من حيث القوة والبسالة، وهم في المؤخرة إذا ما طلب منهم المشورة فلا تصدر عنهم إلاَّ بعد طول نظر وأناة وتمحيص حتى تصدر عن حكمة، تجد هذه المعاني واضحة في قول الشاعر:

لنا في سماءِ المجدِ أشرفُ رتبةٍ ... وفي نضرةِ الأزمان أنضرُ بهجةٍ
وفينا يُرى الإنصافُ إن قلَّ منصفُ ... ومِنَّا يُرى الإقدامُ في خوض غَمْرةٍ
ومِنَّا يُرى في الحق للحق مظهرٌ ... ومِنَّا مصيبُ الرأى في كُلِّ حفلةٍ
وفينا يُرى المستضعفون أعزةٌ ... ومِنَّا لدى الهيجاءِ أخلص فتيةٍ
وما نحن إلاَّ الأولونَ بسالةً ... وما نحن إلاَّ الآخرون لحكمة[1]

ولم يلبث الشاعر إلاَّ أن استخدم نفس الضمائر في فخره بقومه، وكررها سبع مرات عن طريق العطف، وهذه طريقة الشاعر في كل قصائده التي نسجها في هذه الغرض، فعندما نتناول قصيدة من قصائده في هذا الفن فكأنك تكرر قراءة قصيدة سابقة، وفي كل هذا لم يبعد الشاعر عن النظام التقليدي في غرضه إلاَّ من حيث الألفاظ التي تتميز بالوضوح والبساطة والبعد عن الغرابة.

ثم يقرر الشاعر أن من دواعي ما يفتخر به وقومه تثبت الجأش، وتوقد الفكر، وحماية الجار، وإكرام الضيف وحمايته من الإهانة أو الاستكانة لذل، وما ذلك إلاَّ لأَنَّ قومه درجوا على أن يعيشوا عيشة عزيزة خالية من الذل والهوان، ولذا فهم يؤثرون الموت في عزٍّ على الحياة في ذلٍ ومهانة تجد هذه المعاني كائنة في قول الشاعر:

ولا خيرَ حينَ إذا لم يكنْ لنا ... تثبُّتَ جأشٍ أو توقُّدَ فكرةٍ
ويَعْظُم فينا أن يُدَرَّس جارُنَا ... بأنيابِ جورٍ أو بأنيابِ عَسْرةٍ
ولاقرَّتْ الإبصارُ إن ضِيمَ ضِيفُنا ... بسبَّةِ نذلٍ أو بنوع استكانةٍ

[1] ديوان قنابة، ص١٠٢.

ومَنْ عـاشَ مِنَّا عاشَ وهـو معززٌ ومَنْ ماتَ مِنَّا أبقى بَعْدَهُ خَيْرُ دِمنةٍ[1]

ويبدو أن قراءة الشاعر لدواوين السابقين وتأثره بشعرهم جعله ينحى هذا المنحى فاقتفى أثرهم ولم يحدْ عنه.

٦. الأناشيد الوطنية:

لا ريب في أنَّ الأناشيد الوطنية لها وقع في النفس يختلف عن وقع القصيدة في أنها تتميز باللهجة الخطابية الحماسية عالية النبرة، وهي غناء بصوت مرتفع مجهور غير مهموس، الهدف منها إشغال الحماس وشحذ الهمم تجاه "العَلَم" الذي يُعدُّ من أبرز رموز الوطن، وكثيراً ما غنىَّ الشعراء "للعلم" يستحثون بهذا الرمز الشباب ليجتهدوا ويجدوا ويعلموا على رفعة هذا العلم، ومن هنا كانت دعوة شاعرنا... أن

هَيَّا ارفعـوا عَلَـم البـلادْ فـوقَ الكـواهل والنجـادْ
فوق العـواصم والعمـادْ أنَّـا تَسَلَّمْـنَا القِيـادْ
علـمُ البلادِ علـى المهـادْ رمـزُ الشهـامةِ والجهـاد
رمـزُ الإخـاءِ والاتِّحَـادْ رَمْزُ النبـاهةِ والسَّـدَاد
ليبيـا لنـا ذاتُ العِمَـاد ليبـيا لنـا مـن عهدِ عَاد
ما بَـانَ منهـا أمسُ عـادْ فِي قُـدَسِها هَـام الفُؤَاد[2]

انظر كيف جعل الشاعر "العلم" رمزاً للإخاء والاتحاد، والشهامة والجهاد، والنباهة والسداد ومن أجل هذه الرموز المتعددة الكائنة في هذا "العلم" فالشاعر على استعداد أن يدافع عن هذا الرمز بسيفه وقلمه، وذلك لأنه رمز للعلا، فهو يرفرف كالنسر فوق ربى هذا الوطن العزيز "ليبيا"، وتحت ظلال هذا العلم جيش لا يعرف الهزيمة، وشعب لا يعرف التفرق والانقسام، وملك منتظم لا يعرف الاختلاف؛ وذلك لأن هذا العلم لَمْلَم شمل

---

[1] ديوان قنابة، ص ١٠٣.
[2] السابق، ص٢٠٣.

الشعب ووحدَّ بين كل فئاته وطبقاته، ومن هنا كان نشيد الشاعر الذي بعنوان "بالسيف نحمي القلم" والذي يقول فيه:

بالسيفِ نحمى القلمْ ... رمزَ العلا هذا العلمْ
كالنسر طلقٌ والرخمْ ... فوقَ الحِمى فوقَ القِمَمْ
عنوانُ جيش ما انهزمْ ... مِقياسُ شعبٍ ما انقسم
في ظلِّه المُلكُ انتظمْ ... في ظِلِّه الملكُ انتظم[1]

وتتميز أناشيد الشاعر بالايجاز، وسهولة العبارة، والبعد عن الغرابة والتعقيد، وهذه سمة عامة من سمات الأناشيد الوطنية في الشعر الحديث، وإذا خرجت الأناشيد الوطنية عن هذه السمات ضعف تأثيرها في النفوس، وبعدت عنها النبرة الحماسية وخفتت فيها العاطفة، وذلك كما في نشيده الذي بعنوان "شدو الفتى" والذي يقول فيه:

أفديكَ يا وطنى ومثلكَ يُفْتَدى ... بالروح من شرِّ الجهالةِ والعدا
إن لم أصنكَ واقتحمْ فيكَ الردى ... وطنى فلستُ فتى على نهج الهُدَى
أيُّ سماءٍ تُظُلنِي ... أي تُرابٍ يُقلِنى
أيُّ النفوس تجلنى ... إن ضاعَ تفكيرى سُدى[2]

فأنت تراه يبدأ حماساً ثم ينتهي هذه النهاية غير الموفقة من الناحية الشعورية، فلا تكاد تلمس فيه هذه النبرة الحماسية العالية الكائنة في نشيديه السابقين.

وللشاعر نشيد آخر لم يضع له عنوانا تبلغ عدد أبياته عشرين بيتاً ينطبق عليه ما ينطق على النشيد السابق علاوة على أن ألفاظه يصعب حفظها والتغني بها وترددها، والذي يقول فيه:

يا رجالَ الغد كونوا ... خيرَ زُخر للوطنْ
ليس من أيقنْ بالنجـ ... ـح كمُنْ شَكَّ وظَنْ
فبكم يُرجى نجاحُ الشـ ... ـعب في كُلِّ زمنْ[1]

---

[1] السابق، ص ٢٠٤ .
[2] السابق، ص ٢٠٥.

وباقي أناشيد الشاعر تسير على هذه الوتيرة، فهي هذيلة ضعيفة من ناحية العاطفة.

(١) السابق، ص٢٠٦.

المبحث الثالث : التيار القومي في شعر قنابة

لا ريب في أن مصطلح القومية من المصطلحات الحديثة دعت إليه الدول الغربية، وبخاصة "فرنسا" بعد الحرب العالمية الأولى ١٩١٤، وتبعتها الدول العربية، والقومية تنحصر في "جمع شعوب الأمة العربية تحت راية واحدة على الرغم من تعدد دولها، أو ضمِّ الوطن العربي بدولة تحت راية واحدة"[١]، وهذه الدعوة أول ما بدات في مصر بعد ثورة يوليو ١٩٥٢م، وعملت جاهدة على تحقيقها، ودعا لها الشعراء والكتاب والأدباء في أعمالهم، وقطعت مصر شوطاً كبيراً من بين البلاد العربية في سبيل تحقيق هذه القومية، والتي كان من نتائجها اتحاد كل من مصر وسوريا والسودان، ومشاركة مصر للدول العربية الأخرى ومساعدتها لنيل استقلالها.

ولم يكن الشاعر "قنابة" بعيداً عن هذه الأحداث، ولم يقف اهتمامه عند حدود وطنه "ليبيا" فحسب، بل اتسعت نظرته إلى مجريات الأحداث داخل وطنه الكبير "الوطن العربي"، الذي يتخاطب أبناؤه بلغة "الضاد"، فرصد بعض أحداثه في إشارات سريعة، ووقف عند أحداث أخرى وقفات طويلة وأولها اهتماماً بالغاً.

وتظهر ملامح التيار القومي عنده من خلال حديثه عن:

١. الجـــامعة العـــربية:

ولا شك في أن جامعة الدول العربية كانت أعظم تجربة لتوحيد قوى الدول العربية وتنسيق سياستها الداخلية والخارجية، وهذه الجامعة منذ ان تأسست في ٢٢ مارس عام ١٩٤٥ قد لعبت أدواراً مهمة في شئون الدول العربية وفي قضايا الشعوب الإسلامية التي كانت لا تزال ترزح تحت كابوس الاستعمار وكذلك الشعوب التي حظيت بالاستقلال[٢]، وهذه المنظمة الإسلامية ما فتئت تدافع عن حقوق الليبيين حتى ظفروا بالاستقلال؛ ولذا

---

[١] انظر آراء وأحاديث في القومية العربية- ساطع الحصري، ص٢٥، ط دار العلم للملايين.
[٢] الشعر والشعراء في ليبيا، د. محمد الصادق عفيفي، ص١٤٢، ط الانجلو المصرية ١٩٥٧م.

أولاها الشاعر اهتماماً بالغاً في شعره، فهو يحيها ويهتف باسم الكنانة مقر هذه الجامعة، ويهتف بهذه المنظمة الإقليمية قائلاً:

باسم الكنانةِ والعروبةِ والأدبْ حيِّ الحمى واهتفْ بجامعةِ العربْ
شرقيةٌ في قدسِها عربيةٌ صاغتْ بنيها الحرَّ من أمٍّ وأبْ
شادتْ سعادَتها على آدابها وعلى السعادةِ انفقَ الناسُ الذهبْ[1]

ومن هذا المنطلق دعا الشاعر بني وطنه أن يهبوا لنصرته، ويتحدوا قوة واحدة ويداً واحدة ضد أعدائهم وأعداء دينهم، وألاَّ يصيبهم وهن وضعف فيهزموا، وهذا هو أسمى مواثيق جامعة الدول العربية، الذي لو عملوا على تنفيذه لتحققت لهم السيادة والمنزلة العالية بين دول العالم، ولم تسوِّل لأي دولة من دوله أن تتجاوز حدودها ضدهم؛ ولذا كانت دعوته...

أَلا هُبُّوا بنى وطنِى ودينِى نَذُبُّ عن العروبةِ والعرين
ألا هُبُّوا ألا اتحدُوا ومدُّوا يمينكُم أمُدُّكُم يمينِى
ولا تهنوا فتُهْزَمُوا وتنسوا عهوداً من وثائِقها حنينى
فما وطنْ العروبةِ كهفُ ضيم ولا كنفُ الكنانِة بالمهين[2]

والشاعر في البيت الثاني متأثر بالقرآن الكريم في قول الله عزَّ وجلَّ (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين)[3]، إلاَّ أنه لم يوظَّف الآية القرآنية التوظيف الصحيح، ولم يفتأ لسان الشاعر يلهج بذكر "الكنانة" في حديثه عن الجامعة العربية؛ وذلك لأنه يعلم أن الكنانة مقر الجامعة العربية، وأمينها مصري وهو "عبد الرحمن عزام" في ذلك الوقت.

والشاعر يبعث ببرقية تهنئة للجامعة العربية بمناسبة مرور أربعة أعوام على إنشائها، فكل من "طرابلس وبرقة وفزان" يقدمون لها التهنئة، مادحاً أمنيها الذي يسعى بعزم وقوة ليجنب وطنه العربي ويلات ومآسي الاستعمار، ويعمل جاهداً على استقلاله، فيقول مخاطباً الجامعة العربية:

---

[1] ديوان قنابة، ص١١٩.
[2] ديوان قنابة، ص١٢١.
[3] سورة آل عمران آية: ١٣٩.

أجامعةَ الفُصْحَى بعيدِك نحتفِي ... ومَنْ نطقُوا بالضادِ كُلُّ لهُ الفدا
فعامُ لكِ برجُ الشمس للسعدِ رابعُ ... وشمْلُ لكِ شملُ لا يزالُ مُوحَّدا
أمينُ لكِ "عزامُ" سيسعَى بعزمةٍ ... ويجعلُ من سيفِ التخاذل مبردا
أقامَ لـ لك "الفاروقُ" عضَوك مِثْلمَا ... أقامَ لـ لك الأعضاءُ ذكرى لها صَدى
طرابلسُ ترنو وبرقُة أختُها ... وفزَّان بالقربى إليـ لك تودا[1]

والشاعر يهيب بجامعته العربية أن تعمل جاهدة على تحرير البلاد العربية من نير الاستعمار البغيض بكل صرامة وعزم حتى لا تبقى له بقية في وطنه الكبير "الوطن العربي"؛ وذلك لأن زمن العنصرية قد ولى إلى غير رجعة، وكل الناس سواسية كما تدعو مبادئ دينه الحنيف، ولذا فالشاعر يستنهض الجامعة أن تهب لتحرير كل قطر عربي فيناديها قائلاً:

أجامعتِى أطلَّ عليكِ عهدٌ ... كيوم النَّصر وضاحُ الجبين
فهُبِّى كى تُحَرِّرَ كُلَّ قطر ... أُهِينَ وكُلَّ شعبٍ مُسْتَكِين
بكلِّ صرامةٍ وبكلِّ عزم ... سنقتحم الوغى في كل حين
فلا استعمارَ بعد اليوم يَبْقَى ... ولا مستعمرِ الوطن القَمِين
فعهدُ العنصريةِ قَدْ تَقَضَّى ... وكُلُّ الناس من ماءٍ وطين[2]

ومما يلفت الانتباه أن الشاعر يستخدم في حديثه عن الجامعة العربية أساليب متعددة، فتارة يدعوها "بجامعة العروبة" وأخرى "بجامعة العرب"، وتارة "بجامعة الفصحي"، وتارة ينسب الجامعة إلى نفسه فيقول "أجامعتي"، وما ذلك إلاَّ لأن الشاعر بنى آماله وشادها لتحقيق أمل أمته بصفة عامة، ووطنه بصفة خاصة على هذه الجامعة، هذه الآمال التي تكمن في الاتحاد والتضامن للتخلص من الاستعمار في أي قطر من أقطار وطنه، ولم يكتف الشاعر بهذا بل وصفها بأنها أمٌّ وأب، وأن والأقطار العربية أبناؤها، ومن هذه الأقطار القطر الليبي الذي يرزح في قيود الاستعمار كسجين، ثم يوضح موقف الدول الحليفة التي انضمَّ إليها الشعب الليبي في الحرب العالمية

(1) ديوان قنابة، ص١٢١.
(2) السابق، ص١٢٤.

الثانية ١٩٤٥، ووعدته – إن أحرزت النصر على أعدائها– يالاستقلال، فإذا ما وضعت الحرب أوزارها، وتحقق لهذه الدول النصر بمساعدة الليبيين نكصت في عهدها، لذا يستصرخ الشاعر الجامعة العربية بأن تسعى في جد كي تخلص شعبه من هذا الاستعمار البغيض الذي كبله سنين عديدة قائلاً:

أجـــامعةَ العـــروبةِ أنتِ أمٌ ... وجُـلَّ بنيـ ـكِ في حصـن حصين
وذا الليبى نجلـ ـك في قيـــودٍ ... لـدى الدول الحليفةِ كالسجين
فلا هـــى بالعـدالةِ انصفَتْهُ ... ولا الميثـــاقُ نُفِّـذَ في يقـــين
فَظلَّ يقولُ وهو إليـ ـكِ يهفوُ ... أَهُنْتُ عليـ ـك أُمـيِّ ؟!! أنقذنِى[1]

٢. الوحدة العربية والتضامن العربي:

لاريب في أن الوحدة العربية والتضامن العربي المصدر الرئيسي في قوة العرب بصفة عامة، والذي ينبثق من قوة الإسلام والوازع الديني عند أبناء الوطن العربي، وليست هذه الوحدة وهذا التضامن بغريب عن أبناء العروبة، فالعرب في عصورهم الزاهرة عندما كانوا أمة واحدة لا أمماً شتى اتسعت دولتهم، وهزموا أعدائهم، وكان النصر حليفهم في كل حروبهم التي خاضوها ضد أعداء الإنسانية، وما كان هذا إلاَّ بسبب تضامنهم واتحادهم تحت راية واحدة يرفعونها، ونشيد واحد يرددونه، ومن هنا أدرك المستعمرون خطرهم فعملوا على تفريقهم بالوقائع والدسائس، حتى تَفرق شملهم، وضعفت شوكتهم، وأصبحوا لقمة سائغة لغيرهم.

ومن هذا المنطلق كانت دعوة شعراء العروبة بصفة عامة للتضامن والاتحاد جنباً إلى جنب لمجابهة الاستعمار، فكان أول من بشر بهذه الوحدة القومية "أحمد شوقي" وذلك في قصيدته التي ألقاها في المجتمع العلمي بدمشق والتي يقول فيها:

ونحن في الشرق والفُصَحى بَنُورحم ... ونحنُ في الجُرْح والآلام إخوانُ[1]

[1] السابق، ص١٢١.

وشاعرنا "قنابة" يشيد بهذه الوحدة، وهذا التضامن الذي حقق لشعبه الاستقلال؛ وذلك من خلال توحده وتضامنه مع البلاد العربية، ولذا نجده يمدح هذا التضامن فيقول:

نعمَ التضامنُ في العروبةِ وهي مَنْ ... تحمِي الحمَى من هَبَّ في الدنيا ودَبْ
نعمَ الشهامةُ والمروءةُ والندى ... نعمَ البسالةُ في الكنانةِ والحسبْ
أعظمْ بوحدتِنا وباستقلالنِا ... واطربْ فقد نالتْ بنا ليبيا الأَرَبْ[٢]

عندما تقرأ الشطر الثاني من البيت الأول "مَنْ هبَّ في الدنيا ودب" على الرغم من سلامته لغوياً وعربياً إلاَّ أنه تعبير مستهلك كثيراً ما تستخدمه العامة في حياتها اليومية.

والشاعر يعدد مجموعة من البلاد العربية، ويضم إليها "ليبيا" ويدعوها إلى الاتحاد والتضامن معها، فالروابط بين كل من مصر وليبيا وتونس وبلاد الشام وغيرها روابط أخوة يوحِّد الدين واللغة بينهم والجنس، بل لم تقف الروابط عند هذا الحد فهناك روابط في كل مناحي الحياة، نجد هذه المعاني كائنة في قول الشاعر:

ليبيا العزيزة بنتُ الضادِ وتربتُنا ... وكُلُّ أرض تعزُّ الضادَ تُرضِينا
ليبيا إذا لم يكُ التوحيدُ غايتَها ... عَوَّضتْ عنها حمِى التوحيدِ "برْلينا"
ليبيا التى لاتزالُ الدهرُ واثقةَ ... في شعبِ تونس كهف المُسْتَنِرينا
في مصرَ في الشام في الأردن اخوتنا ... في الدين في العقل في شتَّى مسَاعِينا[٣]

والشاعر كرر "ليبيا" في أبياته السابقة ثلاث مرات لأنه يأنس بذكر هذا الاسم المحبب إلى نفسه، الذي يود أن يراه في عداد الدول التي تنعم بالاستقلال والرخاء والأمن، فكانت دعوته لاتحاد أبناء وطنه أولاً بعضهم ببعض، ثم دعوته إيَّاهم لاتحادهم مع غيرهم من الدول العربية الأخرى.

---

(١) الشوقيات، جـ٢، ص١٠٣، ط دار الكتاب العربي.
(٢) ديوان قنابة، ص١٢٠.
(٣) السابق، ١٢٧.

ولم يفتأ الشاعر يشير إلى الوحدة التي كانت سبباً في تحرير بعض البلاد العربية من ظلم الاحتلال فكان من ثمرات ونتائج هذه الوحدة أن تطوع في الجهاد للدفاع عن "الجزائر" كثير من أبناء الوطن العربي لتخليصه من ظلم الاحتلال الفرنسي، وبذلك تحقق النصر له بسبب هذه الوحدة، ولذا نجده يقول:

إخـاءُ العـروبةِ فوزٌ ونصرٌ ... ووحدتُهُـم تلـك بُشّرى البشائِرْ
هُنَا الحقُ في أرضِنا والسماءِ ... محيـطٌ بما تنتـوبه السرائِر
دمشـقُ ومصرُ ودارُ السلام ... تريدُ السـلامَ سلامُ الضمـائِر[1]

والشاعر يشير إلى اتحاد مصر وسوريا على أنه مثال من أمثلة القوة الذي تحقق من خلاله الفوز والنصر.

٣. الحـديث عـن مصـر:

أولى الشاعر "مصر" اهتماماً عظيماً بالنسبة لغيرها من باقي البلاد العربية؛ ذلك. لأن مصر قلب العروبة النابض وشمسها الزاهرة، ومحط أنظار العالم، وهي التي شاركت وطنه مشاركة فعَّالة في استقلاله، فمدته بالرجال والسلاح والعتاد والزاد، فضلاً عن البعثات العلمية التي أنارت عقول أبناء وطنه من مدرسين ومبعوثين في شتى صفوف العلم والمعرفة، ومازالت "مصر" تعطي الكثير، نطق بذلك شعراءُ ليبيا وكُتَّابها ومؤرخوها، ومن هؤلاء الشاعر "أحمد رفيق المهدوى" الذي قال في مصر:

عليـكِ يا مصـرُ بعد اللّهِ نعتمدُ ... أنتِ الرجـاءُ وأنتِ الغـوثُ والسندُ
"زعيمةُ الشـرق" إن الشرقَ مكلٌ ... عليـكِ في النهضةِ الكُبْرى ومعتمدُ[2]

ويقول في موضع آخر:

أخـوةٌ من بنـي مصـرَ لنا و لهم ... حبٌ تسـاقاه مُشْتَـاقٌ وولـهانُ
قـومُ رسـالتُهم علـمُ وبعثتُهم ... بعثٌ ودعـوتُهم هـدى وإيـمانُ

---

[1] ديوان قنابة، ص ١٣٠.
[2] ديوان أحمد رفيق المهدوى، ص ٧٣، ط وزارة العمل الاجتماعية بالمملكة الليبية.

إحسانُهم في سويداءِ الفؤادِ هُدى وحُسْنُـهم في سـوادِ العين إنسانَ[1]

ومن هؤلاء الشاعر الكبير "أحمد الشارف" والذي يقول:

ولولا تـأسينا بمصـرَ ونيلـها وجامعُها الأعلى لضاقَ بنا الصدَّرُ
إذا ما أفضنـا في حـديثٍ مُمْتع فـأولُ ما يَغْشَـى مسامِعَنَا مِصْرُ
أبـى اللّهُ إلاَّ أن يُبـيِّنَ أنَّـها كـنانتُه في أرضـهِ ولها الفخرُ[2]

وغيرهما كثير، فإذا ما تصفحت ديواناً من دواوين الشعراء الليبيين وجدت ذكر مصر والإشادة بها، وشاعرنا "قنابة" واحد من هؤلاء الشعراء وهو الذي قال "إنني لا أعدل بحبِّ مصر بلداً آخر، وامنيتي الوحيدة أن أرى مصر قبل أن أموت"؟ وهذا إن دلَّ فإنما يدل على ما يحمله هؤلاء الشعراء في صدورهم من شعور نبيل لمصر ولأبناء النيل قاطبة، وهذا الاحساس يدل على الأواصر القوية التي تجمع بين البلدين الشقيقين، وعلى العواطف الجياشة التي يكنها كُلُّ شعب لأخيه، وهي تتدفق حارة في الشعر الليبي، وقد أنشد في هذا المعنى الشاعر "قنابة" قصديته التي يقول فيها:

بنى مصـرَ التى حَيَّتْ فاحييتْ قلـوباً للإخـوةِ حافِظِينا
فإنهـم لأنفسـِهم ربـيعُ هُبُوبُ نسيمِه يَشْفِى الحزينا
يُسلِّـمُ بالنسـيم على قلـوبٍ لمصـرَ ونيلِـها متشـوقينا
قلـوبٌ ملـؤُها جلدُ وصـبرُ لديها تظهـر الحـب لكينا
فقـد وحبـبتْ تحتهم بنص من التـنزيل هادى المُتَّقِينا[3]

ثم يشيد الشاعر بدعوة "جمال عبد الناصر" التي دعا فيها الدول العربية إلى الاتحاد والوقوف صفاً واحداً في وجه الأعداء، وقد لقيت هذه الدعوة استجابة قوية ورواجاً في كل أنحاء الدول العربية، وبخاصة بين طبقات هذه الشعوب، وعلى إثرها توَّحد الصف العربي، وأصبح يمثل كتلة قوية ضد الاستعمار، مما أوقع الخوف والرعب في قلوب الأعداء، هذه

(١) ديوان أحمد رفيق المهدوى، ص ٧٣، ط وزارة العمل الاجتماعية بالمملكة الليبية.
(٢) ديوان أحمد الشارف، ص١١٥، ط الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان.
(٣) ديوان قنابة، ص١١٦.

الدعوة التي خرجت من أرض الكنانة جعلت البلاد العربية تحس بمولد جديد يتمتع بالحرية لا استعمار فيه ولا استبداد ولا نهب لخيرات البلاد، عبَّر الشاعر عن هذه المعاني بقوله:

ما قالَ في مصرَ "عبدُ الناصر" اتَّحِدوا ... إلا لإبراز سرٍّ في تَحدِّينا
بالرعبِ لا الحربِ قد يُقْضَى مُنَاؤنَا ... والموتُ بالرعبِ يجثُ المُسِيئنِا
إنا نُسَالمُ طبعاً مَنْ يُسالِمُنا ... وقد نُعادِي بحقٍّ مَنْ يُعَادِينا
أرضُ الكنانةِ أرضٌ لَنْ يُدنِّسهَا ... من بعد ذا اليوم جيشُ المستبِّدينا[1]

ولعلَّ الشاعر يشير إلى تخلُّص مصر من الاستعباد والاستبداد بعد قيام ثورة ١٩٥٢م.

ثم يحي الشاعر "جمال عبد الناصر" الذي أطلق دعوته إلى الاتحاد، فبه تفاءلت مصر؛ لأنه حقق لها الاستقلال فقال محيياً:

يحيا جمالُ جمالُ عبد ناصره ... من أن دعا قالتْ الأيامُ آمينا
تفاءلتْ مصرُ خيراً يومَ طلعتِه ... ويوم أن قال إخوانى يُحَيّينا[2]

وفي النهاية يلقى الشاعر السلام على آل مصر، سلام مملوءٌ بالود والحبِ، يبقى على مَرَّ السنين، مبيناً الروابط الوثيقة التي تربطه بإخوانه المصريين، حتى أنه ليصاب بالسقام إذا ابتعد المصريون عنه أو ابتعد هو عنهم، ويتقوى ويشفى من علاته إذا ما حلَّ بوطنه الثاني "مصر"، وهو من أجل ذلك مستعد أن يقدِّمَ نفسه فداءً لآل مصر، فهم يستحقون هذه التضحية الغالية؛ لما قدموه من تضحيات في خدمة وطنه والعروبة، يشير الشاعر إلى هذه المعاني في قوله:

سلامُ على آل مصر سَلامُ ودٍّ ... عليكم نَشْرُه يَبْقَى سنينا
يُلازمُنَا السقامُ إذا نأيتم ... وإنْ نَحْلُل بربكِم شُفينا
وأنفسنَا أبداً لكم فداءً ... وأنتم حَبَّذا من مُفْتَدِينا[1]

---

[1] السابق، ص١٢٨.
[2] ديوان قنابة، ص١٢٩.
[1] السابق، ص١١٧.

وهذا إن دلَّ فإنما يدل على مدى ارتباط الشاعر بمصر وحُبِّه لها.

ثـــورة الجـــــزائر

لا ريب في أن ثورة التحرير التي قامت في الجزائر عام ١٩٥٤م قد أهاجت شعور ووجدان الشعراء في كل قطر من أقطار الوطن العربي، وقد ضرب الشعب الجزائري نموذجاً مشرفاً في التضحية والفداء، واسترخص الفدائيون أرواحهم في سبيل تحرير وطنهم الذي عدّوه قطعة من أرواحهم، فراحوا يدافعون ويدفعون عنه المحتل الفرنسي الغاشم بكل ما أتوا من قوة، وقصة جهاد الشعب الجزائري يضرب بها المثل في التضحية، وبرزت من خلاله شخصيات ذكرها الشعراء وقلدوها وشاحاً جميلاً من الشعر من مثل "جميلة بوحريد" التي أثبتت من خلال كفاحها أن المرأة لا تقلُّ فدائية عن الرجل في سبيل تحرير وطنها والعمل على رفعته، وقد "عاصرت ثورة الجزائر أحداثاً عربية خطيرة في المشرق العربي، فمن استقلال تونس والمغرب إلى العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦م إلى سقوط الملكية في العراق ١٩٥٨م إلى وحدة مصر وسوريا، فهذه الأحداث كانت تعبيراً آخر عن تحرك العالم العربي لتحقيق ذاته ووجوده، فأثرت في الثورة الجزائرية كما تأثرت هي أيضاً بها"[٢].

ولا أكون مغالياً إذا قلت إن ثورة الجزائر قد شغلت وجدانات الشعراء العرب، وبخاصة الشعراء الذين يحملون بين طيَّات قلوبهم آلام وهموم وطنهم الكبير "الوطن العربي" وأمتهم العربية، دون اعتبار للحواجز والموانع التي صنعها الاستعمار، وشاعرنا "قنابة" من هؤلاء الشعراء الذين ترجموا عن

[٢] الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، ص ٢٤٠، دكتورة: نور سليمان، ط دار العلم للملايين.

آلامهم لما يجري على أرض الجزائر من قتل ونفي وتشريد وتعذيب لأصحاب البلاد الأصليين، راصداً من خلاله بعض الانتهاكات اللآدمية والجرائم الوحشية التي ارتكبها المستعمرون ضد أبناء الشعب الجزائري دون مبرر، فيقول:

بدون مبرر وقفتْ فرنسا ... تجادلُ بالعنادِ جدالَ خائرهْ
وحسبُكَ أنها بعثتَ جنوداً ... تُمثِّلُ بالشيوخ وبالحرائرْ
ترى أن الجزائرَ من فرنسا ... وما احتوت الجزائرُ من ذخائر
وتلكَ هى المطامعُ حين تَهَوى ... بصاحبها فيقتحُم النَّهابرْ[1] [2]

إن ألاعيب المستعمرين متنوعة ومختلفة ومتعددة، ولكنها في النهاية ترمي إلى غاية واحدة وهدف واحد، هو استغلال موارد البلاد ونهب خيراتها، من أجل هذا تعددت مبررات المستعمر الغاصب، ولذا فالشاعر يكشف عن هذه المؤامرات الرخيصة والادعاءات الكاذبة، ويفضح مخططات المستعمر مهما تعددت وتلونت، فيقول:

دمُ الشهداءِ يفضحُ يافرنسا ... دسائِسَ كِ الدفينةِ والسرائرْ
فعندكِ من رجالكِ يا فرنسا ... إذا انصفتِ أحرارُ الضمائر
أُكُلُّ صغيرةٍ مِنَّا ستُحصَى ... وكُلُّ كبيرةٍ منكم صَغَائِر
وتلكَ جريمةٌ لا ريبَ فيها ... تجيءُ بما يُهدِّدُ بالدَّمَائِر
وفي وضح النهارِ لَقَدْ شَهدْنَا ... معاركَ بين ذا جد وخاسِرْ
سيغضبُ خالقُ الدنيا عليها ... وتلعَنُها الاوائلُ والأواخر[3]

لقد كشف الشاعر النقاب عن خداع وسائس الاستعمار، مشيراً إلى الجرائم التي ارتكبتها فرنسا في حق الشعب الجزائري، هذه الدسائس التي يختبئ الغدر والحقد خلفها منزوياً متوارياً، ولم تجن فرنسا من هذه الجرائم إلاَّ الخزي وغضب الله ولعنة الأولين والآخرين.

---

[1] النهابر والنهابير: الحفر بين الآكام، والنهابير المهالك، والنهابير الرمال، والنهابير : أمور شداد صعب "لسان العرب مادة : نهبر".
[2] ديوان قنابة: ص١٣١.
[3] ديوان قنابة، ص١٣٢.

ثم يبين الشاعر سياسة فرنسا التي أصبحت لعبة في يد "ديجول" يعبث بها ويوردها موارد الهلاك، دون أن يعترض أحد على سياسته الإجرامية التي تعود على بلاده بالخزي والعار والخسران، وكأن لم يبق في هذه البلاد رشيد من أصحاب الحكمة يرشده إلى الطريق القويم، فيقول:

دِيجولُ لم يفهمْ مدى أبعادِه ... ماذا جنَى من خُلفِ تطبيق الوعِيدْ
أمستْ فرنسا لُعْبةً في كفِّه ... يلهو كأن لم يبقَ فيها من رَشيد[1]

ثم يستنهض الشاعر همم أبناء الجزائر ويحفزهم كي يحرروا وطنهم من طغيان المستعمر، مشيراً إلى بعض المجاهدين الجزائريين الذين خلَّد التاريخ ذكرهم ووضعهم في مصاف القادة المجاهدين، محيياً الجزائر وجيشها الذي ضحى بالنفس والنفيس في سبيل تحرير بلاده، منادياً إيَّاهم بـ....

بنى وطنى يا حماةَ الحمِى ... أبيتمُ وتأبونَ سفكَ الدِّما
أبيتم وتأبونَ غَيْرَ الوفا ... لمنْ وثَّقَ العهدَ متسلِّما
هَلُمُّوا نحنُ رجالُ الوغِى ... رجالُ ابن بلة[2] في العُظَّما
نُحيِّ الجزائرَ في جَيْشِها ... نُحيِّى هنا من إليه انتمى
نُحيِّ الجنودَ ومَنْ قادَها ... ومَنْ في احتفالاتِنا أسْهَما[3]

وقد أثمر نداء الشاعر شحذ الهمم للتخلص من الاستعمار، فقد هبَّ شعب الجزائر بمساعدة إخوانه من باقي الشعوب العربية ودارت الدائرة على المستعمر فانهزم أمام هذا الاتحاد العربي، ونالت الجزائر الاستقلال، ولذا فالشاعر يبعث ببرقية تهنئة إلى أبناء الجزائر بمناسبة انتصارهم على أعدائهم، فيقول:

---

(1) السابق، ص١٣٣.
(2) أحمد بن بلا: ولد في وهران غرب الجزائر من ابوين مركشيين، انتخب عام ١٩٤٦ عضواً في المجلس البلدي في مدينة وهران، ثم انضم إلى الحركة الديمقراطية، اعتقله الفرنسيون عام ١٩٥٠م ثم فر من السجن عام ١٩٥٢م وذهب إلى القاهرة، ثم اعتقل وهو في طائرة مغربية تقلُّ البعثة الخارجية من الجزائر إلى تونس لاجراء مباحثات، وارغمت الطائرة على تغيير اتجاهها والنزول في الجزائر- انظر الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرر، ص٢٣٣، ط دار العلم للملايين.
(3) ديوان قنابة، ص١٣٥.

إلى كُـلِّ حُرٍّ إلى كـل ثائرْ ... أقدِّمُ بشرى انتصـارَ الجزائرْ
فقد هَـبَّ شعبى وهبَّتْ شعوبٌ ... لتقضِىَ فـوراً على كُلِّ جائر
وقـالتْ قُوى الحقِّ فيها جهاراً ... علـــى الظالمين تدورُ الدوائر
إخاءُ العـــروبةِ فـــوزٌ ونصـــرٌ ... ووحدتُهم تلك بُشْرَى البشائِر[1]

وعلى الرغم من وجود ثورات وحروب واعتداءات من قبل الدول الاستعمارية على البلدان العربية إلاَّ إن الشاعر أولى حرب الجزائر أهمية كبيرة بدليل أنه صاغ فيها أربعة قصائد يضم مجموع أبياتها أكثر من سبعين بيتاً.

فلسطـــين:

وعلى الرغم من أن قضية فلسطين شغلت الرأي العام على المستوى العالمي والعربي، وقضية اللاجئين، والجرائم التي ارتكبها اليهود ضد أبناء الشعب الفلسطيني، وخداع اليهود ومكرهم أهاج شعور ووجدانات الشعراء في سائر أنحاء الوطن العربي حتى يكاد الشعر الذي قيل في قضية فلسطين يمثل نتاجاً ضخماً إلاَّ أن الشاعر "قنابة" لم يولى هذه القضية اهتماماً في شعره، ولم يترجم عنها إلاَّ من خلال أبيات قليلة منشورة ضمن أبياته التي تحدث فيها عن الوحدة العربية، وهي عبارة عن أربعة أبيات يقول فيها:

لولا فلسطينُ ما استعصتْ مشاكلُنا ... في رأى مَـنْ كانَ يُغْـريها ويُذْكِينا
لولا فلسطـــينُ أعلنَـا سياستَنا ... في رأيِ مَنْ كـان يُفْتيـها ويُفْتـينا
إنّا اعتـزَمْنَا نِهـــائِياً وفي ثقةٍ ... وعـــنْ يقـين على ردِّ المُغِيـرينا
يا أُمَّةَ الشرق والغربِ اشهدِ وثِقِى ... إنا سَنُنقِـذُ في عـــزم فلسطِـينا[1]

والشاعر ينعى على فلسطين ويصفها بأنها عائق اعترض طريقه، فلولاها ما استعصت مشاكله، ولولاها لأعلن سياسته، ثم يأتي هذا الاضطراب الفكري

(1) السابق، ص١٣٠.
(1) ديوان قنابة، ص١٢٧.

غير المقبول من الشاعر ويقرر بأنه سيرد المغيرين وينقذ في عزم فلسطين، ولعل الشاعر أراد أنه لو حلت قضية فلسطين لحلت كل المشاكل التي استعصى حلها.

الخـــاتمـــة

وتشتمل على أهم نتائج البحث، وهذه النتائج تسير في اتجاهين:

الأول: السمات التي يتميز بها شعر الشاعر وتتمثل فيما يلي:

١. يعد شعر الشاعر سجلاً تاريخياً لهذه الفترة يصور فيه الاتجاهات العامة، والصراع الذي كان يجري على مسرح العمل الوطني، ويعبر عن الأفكار الرائجة بكل ما تحمل من طموح إلى الحرية والاستقلال.

٢. يتميز شعره الوطني- بصفة خاصة والقومي بصفة عامة- بالنبرة الخطابية العالية، التي تشتمل على الأوامر والنواهي والتوجيه والإرشاد والوعظ، وكأني بالشاعر يقف على مكان عالٍ منذر ومحذر بني وطنه وقومه على السواء.

٣. من خلال متابعة شعر الشاعر تبيَّن أنه يسير على نفس النهج الذي سار عليه شعراء المدرسة التقليدية من التزام بالأحداث العامة وارتباط بالمناسبات السياسية.

٤. نلمس في شعر الشاعر الوطني والقومي روحه المعبرة عن إيمان عميق بليبيا، وعن عروبة عميقة الجذور في نفسه.

٥. وظَّف الشاعر البحور العروضية التي استخدمها للتعبير عن تجربته توظيفاً صحيحاً ينمُّ عن ذوق فني، فقد استخدم منها على الترتيب "الوافر، البسيط، الكامل، المتقارب- الرمل- الطويل" وكان لبحر "الوافر" النصيب الأكبر؛ وذلك لأنَّ الشاعر أدرك بذوقه السليم أنه بحرٌ "سريع النغمات متلاحقها مع وقفه قوية سرعان ما يتبعها إسراع وتلاحق، وهذا يتطلب من الشاعر أن يأتي بمعانيه دفعاً دفعا كأنه يخرجها من مضخة... لهذا فإنك أكثر ما تجد الوافر في نظم الشعراء أساليب تغلب عليها الخطابة... وإن هذا البحر يصلح في إظهار الغضب في معرض

الهجاء والتضخيم في معرض المدح"[1]، وقد أجاد الشاعر في توظيفه لهذا البحر وبخاصة في قصائده الطوال.

كما أنه استخدم بحر"الطويل"، وهو بحر "ينظم عليه في الأغراض الجدية الجليلة الشأن وهو لكثرة مقاطعة يتناسب وجلال مواقف المفاخرة والمهاجاة والمناظرة"[2]، وقد وفق الشاعر في توظيفه لهذه البحور التي تتواءم وفنه الشعري.

٦. أوجد شاعرنا "قنابة" وغيره من شعراء ليبيا باباً جديداً من الشعر لا عهد للشعر الليبي به من قبل وهو "الشعر الوطني والقومي".

٧. أجاد الشاعر في تطويع أسماء الأماكن العربية والأجنبية والإعلام وتوظيفها لخدمة فنه الشعري.

٨. كشفت الدراسة النقاب عن شاعر من الشعراء الليبيين الذين عنوا بقضايا أوطانهم وأمتهم العربية على السواء، وترجموا عن آلامهم جرَّاء ما يحدث من انتهاك لشعوبهم من قبل المستعمرين.

الثاني: المآخذ التي سجلتها على الشاعر من خلال دراستي للشعر الذي يمثل التيار الوطني القومي، وهذه المآخذ تتمثل فيما يلي:

١. أهمل الشاعر جانباً كان لا ينبغي عليه ألاَّ يتركه وهو "وصف المعارك والمواقع الحربية" التي دارت رحاها بين بني وطنه وبين المستعمرين، وهذا إن دلَّ فإنما يدل على ضعف ملكة "الخيال" عند الشاعر، فلم يلتقط بعدسة ألفاظه هذه الصور، فقد يكاد يكون جانب الخيال عنده منعدماً.

٢. لم يطبق الشاعر المقاييس التي نادى بها في شعره، فقد ذكر في أكثر من موضع تعريفاً للشعر بأنه: تعبير عن الوجدان والشعور، وذلك في قوله:

وما الشعرُ إلا شعورُ أمرئ يُفسّرُ مفهومَه المُبْهَما

---

[1] المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج١، ص ٣٣٢ ، ٣٣٣، بتصرف ، ط دار الفكر العربي، بيروت.

[2] موسيقي الشعر، د . ابراهيم انيس، ص١٩١، ط الانجلو المصرية، ١٩٧٨م.

شعورٌ يُشيرُ إلى ما مَضَى شُعورٌ يُنيرُ الدُّجَى المُظْلِما[1]

ولم يطبق الشاعر هذا المقياس على شعره على الرغم من انه كرره في أكثر من موضع، فقال في قصيدته التي بعنوان "ذكريات الحبِّ عذبة" التي بعث بها إلى صديقه "عبد ربه الغناي"، والتي يقول فيها:

إنّما الشعرُ شعورٌ قَلَّ مَنْ يحسنُ سَبْكَهْ
إنما الشعر كدُرٍّ عند مَنْ يُتْقِنُ ثَقّبَهْ
إنَّما الشعرُ كهدى يَغْمُرُ القلبَ ورَهبَهْ
إنما الشعرُ كعقل قدَّمَتْه النفسُ قُرْبَهْ[2]

ليت الشاعر أرانا هذه الدرر، وهذا الشعور الفياض، وأرانا هذا الشعر الذي يترك أثره في القلب!!!

٣. أهمل الشاعر رثاء المجاهدين، فلم يحتوِ ديوانه على قصيدة واحدة في رثاء الأبطال الذين خاضوا حروباً ومعارك متعددة ضد العدوان الإيطالي على مدار أكثر من ثلاثين عاماً.

٤. أهمل الشاعر حدثاً هاماً أثار شعور ووجدانات الشعراء داخل وطنه ليبيا، وخارجه وهو محاكمة "عمر المختار" والحكم بإعدامه شنقاً بعدما أبلى بلاءً حسناً في سبيل تحرير وطنه، ونيل حريته واستقلاله، وقد ضرب المثل بشجاعته وبسالته وثباته في أرض المعركة، مما جعل يوم تنفيذ حكم الإعدام فيه يوم حدادٍ في الأقطار العربية، فرثاه الشعراء رثاءً حاراً بقصائد مملوءة أسى وحرقة على فراقه، ومن هؤلاء "أحمد شوقي" في قصيدته التي مطلعها:

ركزُوا رفَاتَ ك في الرِّمال لواء يستنهضُ الوادى صَباحَ ومساءَ
ياويحهُمْ نصبُوا مناراً من دم تُوحى إلى جيل الغدِ البغضاءَ
ما ضرَّ لو جعلوا العَلاقَةَ في غدٍ بين الشعوبِ مودةً وإخاءَ
جُرْحُ يصيح على المدى وضحيةٌ تتلمسُ الحريةَ الحمراءَ

(1) ديوان قنابة، ص١٣٥.
(2) السابق، ص١٩٥.

يا أيها السيفُ المجـرُد بالفلا ... يكسو السيوفَ على الزمان مُضاءَ
تلكَ الصحارى غِمْدُ كُلِّ مُهَنَّدٍ ... أبْلَى فأحسنَ في العدِّو بلاءَ[1]

ورثاه "مطران" أيضاً فقال:

للّه يا عمرَ المختار همتَه ... في أن تُلاقِى ما لاقيتَ مظلومَا
إن يقتلوكَ فما إن عجَّلوا أجلاً ... قد كان مُذْ كُنْتَ مقدوراً و محتُوما
هل يملكُ الحُّى لو دانتْ له أممٌ ... لأمرربكَ تأخيراً وتقدِيما[2]

ورثاه كثير من الشعراء الليبيين، ومنهم الشاعر "أحمد رفيق المهدوي"، رثاه بأربعة قصائد، ومن هذه القصائد قصيدته التي يقول فيها:

سنذكرُ حادثَ البطل المفُدَّى ... "أبى المختار" ماطلع النهارُ
ونأخذُ ثأره – حتماً- فعارٌ ... نعيشُ وشيخنا دَمُه جُبَارُ[3]

وإذا ما تصفحت ديواناً من دواوين الشعراء الذين عاصروا هذا الحادث الأليم لا تعدم فيه ذكراً لهذا البطل الخالد الذي يقترن اسمه باسم وطنه.

٤. لم يدخلنا الشاعر أرض المعركة، ولم يجعلنا نشاهد الغبار المتطاير فوق الرؤوس، ولم يرنا أشلاء الموتى ولا الدماء المراقة على الأرض، ولم يطلعنا على الآلات القتالية الحديثة التي استخدمت في هذه الحرب، على الرغم من أنه وقف على هذه الأرض، وشاهد هذه الحرب، ولعل ذلك يرجع إلى عنايته بتسجيل الأحداث دون عنايته بتصويرها.

٥. وعلى المستوى "القومي" أهمل الشاعر ذكر أحداث جسامٍ هَزَّت العالم العربي على وجه الخصوص والعالم أجمع على وجه العموم كحرب العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦م، ولم يشر إليها إلاَّ إشارات خافته في شطر من بيت، ويبدو أن الشاعر لم يكن على مستوى الحدث أو على وعي تام بمجريات الأحداث.

---

[1] الشوقيات، ج٢، ص١٧.
[2] ديوان الخليل، ج٤، ص١٨، ط الهلال ، القاهرة، ١٩٤٩م.
[3] ديوان رفيق، ج١، ص٣١.

فهرس المصادر والمراجع

١. آراء وأحاديث في القومية العربية، ساطع الحصري، ط دار العلم للملايين، بيروت.
٢. الاتجاهات الوطنية في الشعر الليبي الحديث، د. محمد الصادق عفيفي، ط دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، ط أولى، ١٩٦٩م.
٣.الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دكتورة: نور سليمان، ط دار العلم للملايين، بيروت.
٤. الأعمال الكاملة، محمود غنيم، ط دار الغد العربي.
٥. تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى ١٩٦٩م، تأليف نيكولاي ايليتشن بروشيل، ترجمة وتقديم د. عماد حاتم، ط دار الكتاب الجديد المتحدة.
٦. دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، د. محمد عبد المنعم خفاجي، ط دار الجبل، بيروت، ط أولى، ١٩٩٢م.
٧. ديوان أحمد أحمد قنابة جمع وتحقيق د. الصيد أبو ديب، ط أولى، أكتوبر ١٩٦٨م، مطابع دار الكتاب اللبناني، بيروت.
٨. ديوان أحمد رفيق المهدوي، طبع على نفقة وزارة العمل الإجتماعي بالمملكة الليبية.
٩. ديوان أحمد الشارف، ط الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان.
١٠. ديوان: البارودي حققه وصححه وضبطه وشرحه على الجارم بك، محمد شفيق معروف.
١١. ديوان الخليل، ط دار الهلال القاهرة، ١٩٤٩م.
١٢. رفيق شاعر الوطن، خليفة التليسي، ط الدار العربية للكتاب.
١٣. الشعر الليبي في القرن العشرين قصائد مختارة لمئة شاعر، اختارها وقدم لها، عبد الله هدَّامة، وعماد محمد حجيدر، ط دار الكتاب المتحدة.

١٤. الشعر والشعراء في ليبيا، د. محمد الصادق عفيفي، ط الانجلو المصرية، ١٩٥٧م.
١٥. الشوقيات، ط دار الكتاب العربي.
١٦. العمدة لابن رشيق، ط دار الجبل، بيروت.
١٧. قصة الأدب في ليبيا العربية، د. محمد عبد المنعم خفاجى، ط دار الجبل ، بيروت، ١٩٩٢م.
١٨. لسان العرب، لابن منظور، ط دار المعارف.
١٩. المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله المجذوب، ط دار الفكر العربي، بيروت.
٢٠. معجم الشعراء الليبيين، تأليف . عبد الله سالم مليطان، ط دار مداد للطباعة والنشر والتوزيع والإنتاج الفني.
٢١. معجم معارك الجهاد في ليبيا ١٩١١– ١٩٣١، خليفة التليسي، ط الدار العربية للكتاب.
٢٢. الوسيط في الأدب العربي، للشيخ مصطفى عناني، والشيخ أحمد السكندري، ط دار المعارف ١٩٢٨م.
٢٣. موسيقى الشعر د. إبراهيم أنيس، ط الانجلو المصرية، ١٩٧٨م.

فهـرس الموضـــوعـــات

م	الموضـــــــوع	مـن	إلـى
١	المقدمة	٥٧٧	٥٧٩
	المبحث الأول: أضواء على حياة الشاعر		
٣	مولده ونشأته	٥٨٠	٥٨٠
٤	تعليمه – ثقافته	٥٨٠	٥٨٢
٥	الوظائف التي تقلدها.	٥٨٣	٥٨٣
٦	مدرسته الشعرية ورأيه في الشعر.	٥٨٣	٥٨٦
٧	وفاته.	٥٨٦	٥٨٦
	المبحث الثاني : التيار الوطني في شعر قنابة.		
٨	تقدم.	٥٨٧	٥٩٠
٩	ملامح التيار الوطني.	٥٩١	٥٩١
١٠	هجاء المستعمرين.	٥٩١	٥٩٥
١١	الدعوة إلى الوحدة الوطنية ولَمَّ الشمل.	٥٩٥	٥٩٨
١٢	التهليل للاستقلال وطرد المستعمر الغاصب.	٥٩٨	٦٠٠
١٣	مدح المخلصين من أبناء الوطن.	٦٠٠	٦٠٢
١٤	الفخر – الأناشيد الوطنية.	٦٠٢	٦٠٧
	المبحث الثالث: التيار القومي في شعر قنابة.		
١٦	الجامعة العربية.	٦٠٨	٦١١
١٧	الوحدة العربية والتضامن العربي.	٦١١	٦١٣
١٨	الحديث عن مصر.	٦١٣	٦١٦
١٩	ثورة الجزائر.	٦١٦	٦١٩
٢٠	فلسطين.	٦١٩	٦٢٠
٢١	الخاتمة.	٦٢١	٦٢٤
٢٢	فهرس المصادر والمراجع.	٦٢٥	٦٢٦
٢٣	فهرس الموضوعات	٦٢٧	٦٢٧